جامعة محمد بوضياف. المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 1335072848

العنوان:

العلاقات المصرية العثمانية في عهد محمد علي

مذكرة مكملة للحصول شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: وطن عربي

إعداد الطلبة:

– حميش كريمة

إشراف الأستاذ:

د. بن قبي عيسى

إسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. مرزقلال إبراهيم	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	رئيسا
د. بن قبي عيسى	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	مشرفا ومقررا
د. بوقزولة عبد المالك	جامعة محمد بوضياف. المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1439–1440، 2018–2019م

شكر وعرفان:

بسم الله الرحمان الرحيم

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} لقمان الآية 12.

تنشرح صدورنا وتنطلق ألسنتنا بشكر الله تعالى، وبشكر أستاذنا المشرف الفاضل " **بن بن قبي عيسى** " الذي من فأعظم المنة، وأوفى كيل المعونة، وتصدق بالنصح الخالص والتوجيه والإرشاد إلى طريق البحث، فانثالت الكلمات الجميلات تتسابق إليه في سرور وحبور، ويسعد قلوبنا بإرسال أطيب العبارات لجميع من سارت قدمه بمساعدتنا، ونطق فاهه بتوجيهنا، وإلى كل معلم أفادنا بعلمه من اولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة.

إليكم جميعا شكرنا العظيم...

والشكر والحمد أولا وآخرا لله ربي العالمين.

rawpixel

قائمة المختصرات:

بالعربية:

الرمـــــــــــــز	المعـــــــــــــنى
ج	الجزء
ط	الطبعة
ص	الصفحة
ع	العدد
مج	المجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعريب
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.ج	دون جزء
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

المقدمة

مقدمة:

يتميز تاريخ مصر الحديث بالديناميكية فهو مليء بالأحداث الجسام التي يصعب على المؤرخ استيعابها جملة واحدة، ونتيجة لذلك كثر دارسوها والباحثون في تاريخها، فبرزت دارسات مختلفة عكست توجهات أصحابها.

كانت مصر محط أطماع كل الدول، فقد خضعت لسيطرة الدولة العثمانية منذ عام 1517، وذلك عندما استطاع السلطان سليم القضاء على الدولة المملوكية، ظلت مصر تتمتع شبه مستقلة تحت حكم دولة العثمانية حتى غزتها فرنسا، وبعد طرد الفرنسيين، ظهرت على مسرح الأحداث الشخصية الفذة محمد علي، الذي استولى على الحكم في مصر، وأصبحت مصر بفضله صاحبة أكبر قوة في الإمبراطورية العثمانية، تطلعات وطموحات التوسعية لهذا الأخير خلق بابا للنزاع بين مصر والدولة العثمانية مما توترت العلاقة بينهما بعد أن كانت ودية، ومن هذا المنطلق نطرح جملة الإشكالية التالية:

- كيف كانت طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية ومصر في فترة حكم محمد علي؟
- وبماذا تميزت العلاقة بين الدولة العثمانية ومصر؟.
- ماهي أهم الإضافات التي قدمها الوالي محمد علي للدولة المصرية العثمانية خلال فترة حكمه؟

الإشكاليات الفرعية:

- كيف كانت أوضاع مصر قبل فترة حكم محمد علي؟
- كيف كانت العلاقة العثمانية المصرية في عهد محمد علي؟

دوافع اختيار الموضوع:

- الرغبة الشخصية في دراسة تاريخ مصر العثمانية.
- محاولة اكتشاف بعض الحقائق والمواقف الخفية في مسار الدولة المصرية العثمانية خلال فترة حكمه، وأهم الأحداث التي شهدها عصره

المنهج المتبع:

فرضت علينا طبيعة الموضوع وما يطرحه من إشكاليات فرعية الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على تحقيق المصادر وتحليلها والمقارنة بينها، من خلال تتبع الوقائع والأحداث التاريخية بشكل دقيق ومفصل، ثم الوقوف على جزئياتها لتحليلها إلى نتائج من شأنها أن تدعم دراستنا وتوصلنا إلى الحقائق التاريخية.

أهم المصادر والمراجع:

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع وكان من بين المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها لهذا الموضوع، عجائب الآثار في التراجم والأحبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي وهو كتاب فيه ستة أجراء، تناول فيه صاحبه الأحداث، أفادنا في جزئها الرابع والخامس فيما يخص فترة حكم الدولة العثمانية بمصر وحياة محمد علي باشا.

كما اعتمدت على كتاب عصر محمد علي لعبدا لرحمن الرافعي الذي تناول في طياته نشأة محمد علي وكيف وطد سلطته في مصر.

وكذلك اعتمدت على مصادر أخرى من بينها:

- كتاب تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية للكاتب إسكندر يعقوب أغا أباكاريوس الأرمني.
- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية للكاتب المقريزي تقي الدين أحمد بن علي أبي العباس.
- كتاب تاريخ الدولة العليه العثمانية للمؤلف فريد بك محمد.
- واعتمدت أيضا على مجموعة من المراجع:
- كتاب تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى قبيل الوقت الحاضر) لعمر الإسكندري.
- دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر لعمر عبد العزير عمر.
- تحديث مصر في عصر محمد علي للكاتب اسماعيل سراج الدين.

خطة البحث:

ولدراسة الموضوع قسمت بحتي إلى مقدمة وأربع فصول على أمل أن نحيط بجوانب البحث.

- **المدخل التمهيدي:**

تناولنا في هذا الفصل عن من هم المماليك وكيف تمكنوا من حكم مصر إلى جانب القيام بفتحها من طرف العثمانيين .....

- **الفصل الأول:**

تناولنا هذا الفصل أوضاع مصر قبيل مجيء محمد علي باشا فقد كان يحكمها الأمراء المماليك الذي مكنوا من السيطرة على مصر وبسط نفوذهم لتنزل الحملة الفرنسية (حملة نابليون بونابرت) ذات أطماع توسعية.

- **الفصل الثاني:**

تناولنا فيه حياة محمد على نشأته وشخصيته وأهم أعماله وكيف تمكن من توطيد سلطته في مصر، وأهم إنجازاتها التي كانت القضاء على المماليك.

- **الفصل الثالث:**

تناولنا فيه قيادة محمد علي الجيوش المصرية العثمانية لتخليص الجزيرة العربية من الوهابين، وقام كذلك بفتح السودان وخاض غمار حرب اليونان ليحقق أهدافه الشخصية.

- **الفصل الرابع:**

تناولنا فيه العلاقة العثمانية المصرية وما آلت إليه في الفترة الأخيرة من حكم محمد علي باشا، حيث أصبحت العلاقة يحفها الكثير من التوتر، وأصبحت الدولتين في حالة صدام بسبب أطماع على وتوسعاته، حيث خاض محمد علي باشا حرب الشام رغبة في ضمها له وجعلها تحت سيطرته بل لم يكتفي وأراد توسيع رقعته الجغرافية بالسيطرة على دول أخرى.

الفصل التمهيدي:
لمحة تاريخية عن العهد المملوكي

1-دخول العثمانيين إلى مصر والقيام بفتحها 1517

لقد ظهر المماليك على مسرح الأحداث كقواد عظام كافحوا على الأرض الإسلام، في فترة كان العالم الإسلامي خلالها في أشد الحاجة لدولة توحيد صفوف المسلمين، وتعيد لهم عزتهم وكرامتهم بعد سقوط بغداد في يد المغول عام 656 هـ / 1258 م.[1]

تمكن المماليك[2] من حكم مصر مدة تزيد على قرنين ونصف القرن بانفرادهم بالسلطة على أسرتين، المماليك البحرية 1252م/ 650هـ ثم المماليك البرجية [3] أوا لشركسية[4] إلى 1517م/ 923 هـ.[5] وكان ولاة مصر منذ وقت مبكر (38 -254 هـ / 658 -1258 م) قد اعتادوا شراء المماليك من الترك والكرد والزنوج، وتربيتهم تربية عسكرية ومنحهم صفة " الجنود الخواص".

وقد استمر هذا العرف بعد ذلك[6]، فقد بدأ استخدام المماليك بكثرة في مصرفي عهد الدولة الطولونية من 868 م / 254 هـ إلى 905 م / 292 هـ، فقد اشترى أحمد بن طولون المماليك ليقوي بهم جيشه، ووصل عددهم إلى أربعة وعشرين ألف مملوك، ثم جاءت الدولة الإخشيدية من 935 م323 هـ إلى 969 م / 358 هـ وفي عهدها كان معظم الجيش من الأتراك، وبلغ عدد المماليك ثمانية آلاف مملوك[7]، " ثم الفاطميون (966 - 1171 م) وأخيرا

---

[1] سيد محمد السيد، مصرفي العصر العثماني في القرن 16، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1997 م، ص 31.

[2] أنظر الملحق رقم 1، ص 78.

[3] البرجية: تعود تسمية هذه الأسرة بالبرجية نسبة إلى سكناهم حيث سكنوا في أبراج قلعة الجبل وذلك تميزا لهم عن المماليك البحرية الذين كانوا يسكنون في جزيرة الروضة أما الشركسية: فتعني البلاد الأصلية التي كانوا يشترون منها هؤلاء المماليك وهي بلاد الكرج (انظر: تقي الدين أحمد بن علي أبي العباس المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) 1998م، ص 213).

[4] المماليك الشركسية: هي دولة المماليك الجركسية، وأصل ملوكها من الجنس الجركسي، لذلك سموا بهذا الإسم، و سموا باسم آخر هو البرجية، لأن المنصور قلاوون عندما أكثر من شرائهم حتى بلغ عددهم نحو 3700أسكنهم في أبراج قلعة الجبل، وقد استمرت هذه الدولة ثرابة 139عاما، ومؤسسها الظاهر هو برقوق العثماني الجركسي.(أنظر: عمار النهار، العصر المفترى عليه عصر المماليك البحرية، ط1، دار النهضة، دمشق، 2007، ص ص 19-35.)

[5] ناصر الأنصاري، المجمل في تاريخ مصر (النظم السياسية والإدارية)، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1993، ص153.

[6] سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص153.

[7] - ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص154.

الأيوبيين (1171 – 1250 م) قاموا بشراء وتنشئة هؤلاء المماليك تنشئة إسلامية – عسكرية للاستعانة بهم وقت الملمات .

وكان الملك الأيوبي نجم الدين أيوب (637 – 647 هـ / 1239 م – 1249 م) يكثر من شراء المماليك، حيث نسبوا إليه كالعادة وعرفوا باسم " المماليك الصالحية "،.... كما أطلق عليهم اسم " المماليك البحرية " نظرا لتلقيهم تدريباتهم في القلاع الموجودة في جزيرة الروضة في بحر النيل، وذلك اعتبارا من عام 639 هـ / 1241 م وعقب وفاة الملك الصالح تمكن هؤلاء المماليك من السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد (648 م / 1250 م) وبذلك برزت للوجود الدولة المماليك في مصر والشام .

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون (678 – 689 هـ / 1279 – 1290 م) تم تشكيل جماعة من المماليك من جنس الجركس وعرفت هذه الجماعة باسم " المماليك البرجية"، نظرا لتلقيهم تدريباتهم في أبراج قلعة الجبل، وقد تمكن أحد هؤلاء المماليك يدعى (سيف الدين برقوق)[1] من الاستيلاء على مقاليد الحكم من أخر أبناء قلاوون عام (784 هـ –1382م) [2]، حيث عمل السلطان الظاهر برقوق منذ توليه الحكم على إرساء قواعد دولته، ولم يكن ذلك بالأمر الهين، فقد ظل طوال حكمه في كفاح مستمر ضد المماليك الترك ومؤمراتهم المستمرة ضده للقضاء عليه[3]، وبذلك بدأت دولة الممالـك البرجية واستمرت حتى انهارت على يد العثمانين في 923 هـ – 1517 م.

[1] – سيف الدين برقوق: هو الملك الظاهر سيف الدين البلغاري، سمي برقوق لنتوء في عينه كأنه البرقوق، وهو أول من تولى عرش مصر من المماليك البرجية بعد بيبرس الثاني، نودي به سلطاني على مصر في سنة (784 هـ – 1372 م)، يذكر عنه أنه لم يكن يجرأ على مغادرة القاهرة من شدة خوفه، كانت وفاته في سنة (801هـ – 1389 م)، حكمه لم يعد بالخير الكثير على البلاد .(أنظر: حياة عابد، الزهرة توايت، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (886–918 هـ/1481–1512م)، مذكرة لنيل ماستر في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2016–2017م، ص114.)

[2] – سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص32.

[3] –البدر العيني، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، تحقيق: إيمان عمر شكري، ط1، مكتبة مدبولي، 2002 م، ص72.

لقد قامت دولة المماليك في مصر[1] والشام بدور عظيم في التاريخ الإسلامي، وذلك بصدهم غارتين على العالم الإسلامي. أما الغارة الأولى فتمثلت في زحف هولاكو على شرق الدولة الإسلامية، وإسقاطه لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام 656 هـ -1258، فتصدت المماليك لهذه الهجمة وأوقعت بالتتار هزيمة قاسية في عين جالوت عام 658م -1260، حيث نجم عن معركة عين جالوت تغيرات وآثار كثيرة:

1-تحرير بلاد الشام من المغول: ... وكما قال المقريزي: ثار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم .... واستمر المسلمون في تطهير بلاد الشام وفلسطين وشرق تركيا من المغول، ولم يسمع عن التتار في هذه المنطقة لعشرات السنين .

2- تحقق الوحدة بين الشام ومصر: .... لقد ملأت المعركة الفراغ المخيف الذي كان يمكن أن يتمخض عن سقوط الخلافة العباسية وتفتت الدويلات الإسلامية كلزنكية والأيوبيين والخوارزمية والسلاجقة، فأتاحت للقيادة المملوكية الشابة أن تقوم بتوحيد الشام ومصر .

3- خمود القوى المناوئة للمماليك.

4- فشل التحالف بين الصليبين والتتار : ترتب على انتصار المماليك في عين جالوت أن ضعف أمل الصليبيين في التعاون مع المغول ضد المسلمين وذلك بسبب ظهور قوة دولة المماليك الإسلامية التي تمكنت من إبعاد الخطر المغولي إلى حدود العراق.

5- إضعاف الوجود الصليبي.

6- ميلاد دولة المماليك الفتية.[2]

---

[1] - تقع مصرفي الجزء الشمالي الشرقي من إفريقيا يبلغ طول مصر الحديثة حوالي (1000ميل-1609.34كيلومتر) من الإسكندرية إلى وادي حلفا ويصل عرضها من ورسعيد إلى الإسكندرية إلى حوالي 320كيلومتر، وتقع قمة الدلتا النيل إلى الشمال قليلا. القاهرة وفي اتجاه الجنوب من هذه النقطة يضيق الجزء المأهول من البلاد ضيفا شديدا إذ يصل إلى بضع ياردات قليلة في بعض الأماكن على ضفتي النهر، وتغطي هذه المنطقة المأهولة بالسكان مساحة تقدر بحوالي 336كيلومترا مربعا(أنظر: اللورد كرومر، مصر الحديثة، الجزء 2، ترجمة: صبري محمد محسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م، ص 165.

[2] - علي محمد محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 2009، ص ص 162-163-166-167.

وأما الغارة الثانية فكانت تتمثل في الحملات الصليبية التي ما انفكت تنطلق من سواحل الشام وجزر البحر المتوسط من حين للآخر، ومرة ثانية قام المماليك بعدة حملات على تلك الأوكار الصليبية في سواحل الشام وانتهت بتطهير هذه المناطق من تلك الجيوب الصليبية تماما عام 690 – 1291م.

وبمرور الوقت على أثر ضعف الإدارة العثمانية في مصر تزايد نفوذ هؤلاء المماليك في الإدارة المحلية [1]، وزادت قوتهم وتقلدوا المناصب الهامة في مصر خاصة في أواخر الدولة الأيوبية مما أدى بهم إلى تولي عرش السلطنة[2]، واستمر هذا النفوذ حتى تحول إلى محاولات متتابعة للانفصال عن الدولة العثمانية.

1– دخول العثمانيين إلى مصر والقيام بفتحها 1517:

لقد قامت الدولة العثمانية منذ تأسيسها على مبدأ الغزو حيث رسخت أقدام المسلمين في أوربا أول مرة ...، حيث بدأت منذ ذلك الحين الحدود بين الدولتين المملوكية والعثمانية تتجاوز، وراحت بعض هذه الإمارات الحدودية تخضع لتبعية الدولة المملوكية أحيانا والدولة العثمانية أحيانا أخرى[3]، مما جعلها سببا في الصدام المباشر بين الدولتين.

وقد برزت هذه المنافسة بين الدولتين في صراعهما على إمارة " ذو القدر"، فمنذ أن كان السلطان سليم الأول[4] (1512 – 1520) واليا على ولاية " طرابزون "[5]،حي أدرك خطر

[1] –سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص32.

[2] –ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص156.

[3] –سيد محمد السيد، المرجع السابق ، ص ص66، 65، 32.

[4] –السلطان سليم ياوز الأول ابن السلطان بايزيد الثاني ولد سنة 875 هجرية الموافق سنة 1480 م وجلس على تحت الملك سنة 918 وبعد جلوسه نازعه في الملك ابن أخيه علاء الدين (أنظر: عزتلو يوسف بك، تاريخ السلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم، محمد عزب، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص56).

[5] – طرابزون: هي في الأصل ميناء كانت تجلب إليه السلع من القسطنطينية، ثم تحمل منه إلى البلاد الإسلامية، حتى أطلق على البحر الأسود في وقت من الأوقات بحر طرابزون، كانت لفترات طويلة تابعة للأتراك السلاجقة، وفيما بعد للمغول ثم للأتراك العثمانيين. (أنظر: كي ليسترنج، بلدان الخلافة الإسلامية، تر: بشير فرنسيس توكوركيس غورا، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 168).

التحركات الشيعية في شرق الأناضول، مما دعاه لإرسال عدة رسائل من بينها إلى والده السلطان بايزيد الثاني (1480 – 1512)، أوضح فيها ضرورة التصدي للصفويين الرافضة. لكن لم تلقى تحذيرات أمير طرابزون سليم أثرا في اسطنبول آنذاك، ولذلك لم يتردد سليم الأول في الإعداد لحملة ووجهتها إيران بمجرد اعتلائه السلطة 1512.

وكانت ثورته قد نشبت في أواخر أيام حكم السلطان بايزيد والد السطان سليم الأول. اعتمد الثائر شاه قولي على دعم الشيعة له في إيران، لكن السلطان سليم لم يسكت على وجود ثورة في أسيا الصغرى ضد الدولة العثمانية وخاصة أن شاه قد احتل كوتاهية وحاصر بورصة، لذلك أرسل السلطان سليم جيشا مكونا من ثمانية آلاف جندي وطارد الشاه قولي حتى تمكن من القضاء على ثورته وقتله. ثم قتل السلطان آلاف الشيعة الموجودين في آسيا الصغرى، وفر ما تبقى من الجند (القزلباش) إلى إيران، عندئذ ثأثر وغضب الشاه إسماعيل في إيران عندما سمع أن آلاف الشيعة يقتلون في آسيا الصغرى، فأراد الإنتقام من السلطان سليم. لذلك أرسل الشاه إسماعيل رسالة إلى المماليك في مصر طالبا منهم العون في قتال العثمانيين.[1]

وفي هذه الأثناء، وعلى الرغم من تظاهر المماليك بعلاقات الود والصداقة مع العثمانيين، وذلك بدعوة السلطان الغوري السلطان سليم الأول إلى عقد معاهدة دفاع مشترك ضد شاه ايران الشعبي، إلا أن تحركاتهم المريبة تجاه العثمانيين انكشفت، حيث رحب الغوري بأبناء الأمير أحمد شقيق السلطان سليم الذين لجئوا إليه ، ثم حاول استخدامهم كورقة ضغط ضد السلطان العثماني، كما قام علاء الدولة ابن ذو القدر تابع المماليك بوضع العراقيل أمام الجيش العثماني المتوجه إلى " جالديران "، كل هذا اعتبره العثمانيون أعمالا عدائية ضدهم ولم تزد المكاتبات التي استمرت لفترة طويلة بين الغوري وسليم العلاقة بينهما إلا تدهورا. [2]

[1] – تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية (1280–1924م)، عمادة البحث العلميو الدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2015م، ص ص 104–105.

[2] – سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص ص 66 –67.

قام السلطان سليم الأول بالإعداد لحملة جديدة نحو ديار بكر تحت قيادة الوزير الأعظم سنان باشا، وفي هذه الأثناء كان السلطان الغوري متربصا بالعثمانيين منذ إلحاق السلطان سليم إمارة ذو القدر بأملاك العثمانيين، وهكذا أظهر التقارب المملوكي – الصفوي، فكان خروج قانصوه الغوري إلى حلب على رأس قوة عسكرية كبيرة، بحجة قيامه بالتوسط للمصالحة من الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم، قد جعل المواجهة بين العثمانيين والمماليك أمر لا مفر منه[1]. ويضيف الباحث إبراهيم بك حليم في كتابه " التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " أما الغوري فقيل: أنه أبدى للسفراء بعض التحقير، ثم أظهر لهم حسن المعاملة. وقال: "أنه ما كان يريد من حسن علاقته مع الشاه إسماعيل إلا التوسط بينه وبين السلطان في تأليف القلوب ومحو النفور".[2]

وبالفعل انتهت المعركة التي وقعت بين العثمانيين والمماليك في 25 رجب 922 (24 أغسطس 1516) في موضع يعرف باسم مرج دابق" بانتصار العثمانيين .وضم الشام للدولة العثمانية بعد أن سقط قتيلا في ساحة المعركة .انتخب بعدها طومان باي سلطانا على مماليك مصر، وفي إعـداد المماليك العدة للاسترداد الشام من العثمانيين، أرسل السلطان سليم خطابا إلى مماليك مصر يعلمهم فيه بموافقته على ترك مصر تحت حكمهم بقيادة طومان باي بشرط أن تـــتكون الخطبة والسكة باسم السلطان العثماني، على الرغم من قبول طومان باي لهذا الاقتراح، إلا أن المماليك ثاروا عليه، وقتلوا رسل السلطان سليم فكان هذا الإجراء منهم إعلانا للحرب، وبذلك أصدر السلطان العثماني قراره بالزحف على مصر. [3]

وأخيرا وقعت آخر المواجهات بين بقايا المماليك الذين تفرقوا في القاهرة وبين الجيش العثماني في 2 ربيع الأول (25 مارس) في منطقة تعرف باسم " دهشور جنوب القاهرة، حيث

[1] – سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص ص 66 –67.

[2] – إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 83.

[3] – سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص ص 66 –67.

تمكن العثمانيون في 4 ربيع الأول من القاء القبض على السلطان طومان باي، وعندئذ، أعلن السلطان سليم سيطرته التامة على مصر، حيث أعدم طومان باي في 13 أبريل عند " باب الزويلة"[1]، ونتيجة لذلك أصبحت مصر ولاية عثمانية ويحكمها والي عثماني معين من قبل الأمبراطورية.[2]

[1] – المرجع نفسه، ص ص 67-68.

[2] – محمد سعيد العشماوي، مصرو الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، 1999، ص27.

الفصل الأول:
أوضاع مصر قبيل مجيء محمد علي باشا للسلطة 1805

1 -نفوذ الأمراء المماليك في مصر العثمانية.

2ـ حملة نابليون بونابارت 1798م.

1- نفوذ الأمراء المماليك في مصر العثمانية:

بقيت الدولة العثمانية قوية مهابة الجانب، ولكن بعد أن ضعفت وأصابها الانهيار انعكس ذلك على مصر وتطاحن الولاة ورؤساء الحامية، وانتهز المماليك هذا التنافس وتمكنوا من السيطرة واستعادة نفوذهم، وأصبح بكوات المماليك القوة السياسية المسيطرة على مصر في القرن السابع عشر.[1]

1-1-عودة النفوذ إلى المماليك:

أدت كثرة تنقل ولاة العثمانيين إلى عدم تأييد نفودهم في مصر، وإلى استرجاع المماليك لكثير من قوتهم الأولى، وساعد على نمو هذه القوة طول أمد النزاع بين الولاة والجند.[2] ونتيجة لضعف الولاة وكثرة تغيرهم استكثر المماليك من الجند والأتباع، وتركزت السلطة المدنية والعسكرية في أيديهم[3]، ومما ساعد المماليك على القبض على السلطة تمهيدهم الطريق لاتحادهم، باختيارهم زعيما من بينهم وهو حاكم القاهرة، المسمى إذ ذلك " شيخ البلد"، وصار لزعمهم وهو شيخ البلد نفود واسع كما صارت مشيخة البلد بمثابة إمارة مصر. ونتيجة لذلك تصدع نظام الحكم الذي وضعه العثمانيون لحكم مصر، وقد شهد القرن الثامن عشر تزايدا كبيرا في سلطة بكوات المماليك.

1-2-بكوات المماليك:

- **عثمان بك:** وكان عثمان بك ذا مقدرة وبأس، فعمل على توطيد السكينة وسهر على حفظ الأمن وإقامة العدل، فحسنت سيرته وأحبه الأهالي، وبقي ذكره بعد زمنا طويلا [4]حتى انه لما ثار عليه أعدائه واضطروه إلى الهروب من مصر صارت الناس تؤرخ حوادثهم بسنة خروجه،

---

[1] - عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517 -1952)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د. ت)، ص152.

[2] - عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى قبيل الوقت الحاضر)، ط 2، مراجعة: الكبتن. ا. ج. سفدج، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص78.

[3] - عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 152.

[4] - عمر الإسكندري، سليم حسن، المرجع السابق، ص ص80 ،78.

فكانوا يقولون: " هذا الأمر حدث بعد خروج عثمان بك بكذا من سنين، وولد فلان في سنة كذا من خروج عثمان بك"

• **ابراهيم بك ورضوان بك:** اتفق كل من إبراهيم[1] زعيم حزب الكردغلية "ورضوان بك زعيم " الجلفية "على توحيد كلمة حزبيهما، ونزع السلطة من عثمان بك، وجعلها في أيديهما معا. وبعد نزاع طويل بينهما وبين عثمان بك تغلبا عليه، ففر خوفا منهما إلى الشام ثم اقتسما السلطة بينهما، واتفقا على أن يشغلا منصبي شيخ البلد وأمير الحج بالتناوب. ولما رأى الولاة أن السلطة قد سلبت من أيديهم، عملوا على النكاية بإبراهيم بك ورضوان بك، ودبروا لقتلهما مكايد ولم يفلحوا فيها، إلا أن البلاد لم تهدأ من القتن بعد، وبقي الأمراء المماليك في هيج على أنفسهم، ومازالت الحال كذلك حتى قبض على زمام الأمور أحد المماليك الأقوياء وهو " على بك الكبير ".[2]

• **علي بك الكبير:**

برزت فيما بعد بشكل خطير، وهي شخصية علي بك، الذي عرف فيما بعد باسم " علي بك الكبير عام 1760 م[3]، وعلى بك الكبير هو من الأمراء المماليك وصل بقوة أشياعه إلى رآسة الحكومة وكانت تسمى "مشيخة البلد "سنة 1763.[4] كانت حركة على بك الكبير في ظاهرها حركة استقلالية...، وكان من أهم مظاهر الاستقلالية التي سعى إليها على بك الكبير استخدامه للقوات المصرية لتحقيق طموحاته في توسيع النفوذ المصري في الحجاز والشام

[1] – إبراهيم بك محمد: قائد مملوكي في مصر وخليفة (محمد أبو الذهب) ومنافس (مراد بك) كحاكم لمصر من 1775إلى 1798. حاكم جشع و طاغية،هرب إلى (سوريا) عندما غزا)نابليون مصر .عاد بعد الاحتلال الفرنسي وعارض الحاكم العثماني (خسرو)، لكنه لم يلعب دورا أكثر من ذلك في تاريخ مصر .عسكر هو و أتباعه قرب ماهو الآن (دنقلة) متجنبا بذلك مذبحة (محمد على) المماليك في 1811. وصلت أنباء وفاته إلى القاهرة في مارس 1816. (أنظر: آرثر جولد شميت ،قاموس تراجم مصر الحديثة ،تر و تح: عبد الوهاب بكر ،المجلس الأعلى للثقافة ،الجزيرة ، 2003،ص 47).

[2] – المرجع نفسه، ص ص80،81.

[3] – أحمد زكرياء الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 –1916، مصر العربية، القاهرة، 2002م، ص 95.

[4] – أنور زقلمة، ثورة على بك الكبير 1768م، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م)، 1952، ص5.

وتدعيم القدرة الاقتصادية المصرية بتعبئة مصادر دخل جديدة. ولقد قدمت هذه المظاهر الاستقلالية الفرصة للتعامل مع أطراف أوروبية متنافسة: روسيا من ناحية وبريطانيا وفرنسا من ناحية أخرى.[1]

وما إن تولى مشيخة البلد حتى بدا يكون له بيتا مملوكيا جديدا، ثم استطاع التخلص من المنافسين الأقوياء في البيت القازدوغي، وتخلص من حلفائه حتى صار الحاكم الفعلي لمصر منذ عام 1768 م. وقد عمل علي بك على كسب مودة السلطان، ليضمن عدم معارضة الباشا والديوان لأعماله، ثم بدأ يدرك مدى ضعف الدولة سياسيا وعسكريا خلال حربها مع روسيا، وهو ما شجعه على القيام بحركة لعزل الوالي وتولى منصب القائم قام، إلى جانب منصبه كشيخ للبلد، ثم أوقف إرسال الضريبة السنوية إلى عاصمة السلطان وأقدم على اتخاذ خطوات تستهدف استقلال مصر تحت حكم المماليك، غير انه قدم للسلطان خدمة عندما طلب إليه إرسال حملة للحجاز لحسم الصراع حول شرافة مكة، فاستجاب وانتهزها فرصة ليعين أحد مماليكه على إمارة جدة، فبدا وكأنه سيطر على الحجاز وبدا يتطلع إلى الشام، وقد واتته الظروف عندما اشتد نفوذ الشيخ ظاهر العمر في فلسطين وصار يتطلع لغزو دمشق، والدولة مشتغلة بحربها مع روسيا، فتحالف علي بك الكبير مع الشيخ ظاهر، وأجرى اتصالاته لطلب دعم من قادة الأسطول الروسي في البحر المتوسط.

وقد أرسل علي بك إلى حليفه حملة يقودها مملوكه محمد بك أبو الدهب[2] لضم دمشق عام 1771 م وتمكن هذا من ذلك بالفعل، وأصبح وسط وجنوب الشام خاضعا لعلي بك، ولم يعد أمامه سوى حلب، ولكن قائده أبو الدهب انسحب فجأة بعد أن أضمر خيانة سيده، ودار بينهما صراع على السلطة في مصر 1772م [3]، ففي أوائل شهر صفر 1187هجرية، وصل

[1] – نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، ج11، المعهد العالمى للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م، ص ص 121–122.

[2] – محمد بك أبو الدهب: متبنى علي بك و الخارج عليه، ومن أمراء المماليك (أنظر: أحمد شوقي، علي بك الكبير ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ،2012، ص7.)

[3] – أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص ص95–96–97.

جيش على بك الكبير إلى الصالحية فوجد قبالتها مقدمة جيش محمد بك أبى الذهب بقيادة مراد بك. وعجيب أن يقود هذا الفتى اليافع جيشا يناجز به سيده بالأمس القريب، فقد غامر وتحدى جيش على بك فابتدره بالهجوم، مع أن وظيفته ان يدافع طبقا لما تقتضيه قواعد الحرب. لكنه يتعجل الزلفى من أبي الذهب، ويود لو تقرب عنده بدم على بك.

وأين له أن يظفر بقائد محنك مثل على بك !... فما عول عليه على بك في الفوز، ووضعه في رأس حسابه،... انهزمت مقدمة جيش أبي الذهب، وابتدأت المعركة الحاسمة بمجئ المؤخرة يقودها أبو الذهب بنفسه.[1] استطاع أبو الدهب بحشد كبير من خصوم علي بك الكبير، أن يتقدم نحو القاهرة وأن ينزل بسيده هزيمة قاسية، فرعلى إثرها علي بك إلى حليفه القديم في فلسطين (الشيخ ظاهر العمر)، ثم لم يلبث أن عاد بقواته إلى القاهرة، بناءا على دعوة بكوات المماليك الموالين له، غير أنه وجه بجيش أبو الدهب عند الصالحية في مايو 1773 حيث دارت معركة هزم فيها علي بك[2] وعاد محمولا على أعناق الرجال...فأنزل الرجال علي بك برفق على الأرض و وساندوه. فتلقى محمد بك أبو الذهب يد مولاه فقبلها ووضع يمينه تحت ابطه الايسر ووأعانه على الدخول إلى الصيوان العظيم _ إلى حيث صار أسيرا بين الحياة والموت[3]، حيث توفي في معسكر خصمه لتنتهي ثورته ضد الدولة العثمانية ولتخلص مصر إلى قائده الخائن أبو الدهب.[4]

[1]– أحمد خيري السعيد، الدسائس والدماء (على بك الكبير "حياته وعصره ")، مطبعة الهلال، (د.م)، 1953، ص ص143–144.

[2] – أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص97.

[3] – أحمد خيري السعيد، المصدر السابق، ص147.

[4] – أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص97.

2-حملة نابليون بونابرت 1798:

2-1 أوضاع مصر قبيل دخول الحملة الفرنسية:

تحولت مصر في نهاية العصر العثماني إلى دولة ضعيفة بعد قوة ومنعة، دولة فقيرة دخلها منهوب بين ثراء وغناء، دولة متخلفة بعد أن كانت سيدة المنطقة، وكان حكم البكوات المماليك في نهاية هذا العصر هو عهد تأخر وجهالة.[1]

يصف الجبرتي في تاريخه الحالة التي آلت إليها الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل دخول الفرنسيين نتيجة العزلة والاستبداد والفوضى التي عاشتها مصر بقوله إن هذه السنة (1198 هـ / 1784م) قد انقضت كالتي قبلها في الشدة والغلاء وقصور (فيضان) النيل والفتن المستمرة وتوتر المصدمات والمظالم من الأمراء، وانتشار أتباعهم في النواحي لجلب الأموال من القرى... حتى اهلكوا الفلاحين وذاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم، .... حتى خرب الإقليم وانقطعت الطرق وعربدة أولاد الحرام وفقد الأمل وانتشر الفلاحون في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط من الطرقات من قشور البطيخ وغيره، ولا يجد الزبال شيئا يكنسه واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتة من الخيل والحمير.

كان الحكم العثماني المملوكي وراء تلك الحالة من خراب وتخلف المجتمع المصري التي رسمها الجبرتي، كذلك كان ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن السيطرة في مصر واضحا قبل قدوم الحملة الفرنسية بسنوات طويلة، حيث اكتفت الدولة العثمانية بتسمية الوالي وإرسال قاضي القضاة بينما انفرد المماليك بالحكم العقلي للبلاد.[2]

---

[1] – ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص207.

[2] – اسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عصر محمد علي، اعداد وتحرير: يونان رزق، محسن، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007، ص ص-17-18-19.

وهنا انتهز الفرنسيون هذه الحالة من الضعف والتردي، التي كانت تسود مصر، مع ضعف السلطان العثماني، وانصراف البكوات المماليك إلى الخلافات فيما بينهم، واستغلال البلاد ماديا إلى أقصى حد لتحقيق منافع خاصة لهم.[1]

2-2 نزول الحملة الفرنسية بمصر:

نزلت الحملة الفرنسية[2] بمصر بقيادة الجنرال بونابرت في أول تموز (يوليو) سنة 1798 قاصدة حسب الظاهر الاقتصاص من المماليك لاعتدائهم المتكرر على التجار الفرنسيين ،أما الغرض الحقيقي من إرسال الحملة فهو اتخاذ القطر المصري قاعدة للتوسع ومزاحمة الإنجليز في آسيا وإفريقيا ومقاومة نفوذهم الاستعماري وجعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية، وكان بونابرت من القيادات التي أوعزت الحكومة " الدريكتوار " النظر إلى مصر على اعتبار أن احتلالها سيمنح فرنسا ميزة إستراتيجية في حروبها ضد التحالف الأوروبي الثاني ضدها بقيادة بريطانيا.

- الاحتلال الفرنسي :

انطلقت الحملة الفرنسية على مصر في صيف 1798، وبمجرد أن نما إلى علم الأسطول البريطاني إقلاع الحملة، بدأت مجهوداته للبحث عنها في المتوسط سعيا لتدميرها، فعمد الأسطول الفرنسي تفادي الأسطول البريطاني إلى أن وصلت الحملة إلى مصر في2 يونيو ونزلت بالقرب من الإسكندرية. وبدأت الحملة جهودها الحربية ضد المماليك والعثمانيين للاستيلاء على مصر، وقد حاول بونابرت استمالة الشعب المصري بإعلان احترامه للإسلام، والتأكيد على أن القوات الفرنسية جاءت لتحرير الشعب من وطأة الحكم المملوكي الفاسد.[3]

[1] - ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص207.

[2] - أنظر الملحق رقم 2، ص 79.

[3] - محمد عبد الستار البدري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 2001م، ص ص48-50.

بدأ بونابرت في اتخاد عدة قرارات لإعادة تنظيم الإدارة و الحكم في مصر على نمط ما حدث في فرنسا بعد الثورة:-

- نقل السلطة إلى الطبقة الوسطى وهم الأعيان في مصر وإنشاء ديوان القاهرة.[1]

تزايد السخط تدريجيا على الحملة، وانتشرت المقاومة الشعبية ضدهم حتى اندلعت ثورة القاهرة الاولى في أكتوبرسنة1798م، وبتحفيز من القسطنطينية حيث انتشرت الدعوة في كل مكان لمقاومة الغزاة [2]، وفي الوقت الذي كان فيه نابليون منهمكا بإعادة تنظيم الحكومة في مصر، إذا بأمير البحر نيلسون القائد البريطاني يعثر على الأسطول الفرنسي في 31 يوليو 1798 في خليج أبي قير فقرر مهاجمته بقوة، وعلى حين غرة استغل عنصر المفاجأة ودمر الأسطول الفرنسي خلال يومين، ووجد نابليون بونابرت[3] نفسه في موقف القائد الذي احترقت سفنه وحكم عليه بالهزيمة[4]، إذ تعود أسباب الهزيمة إلى:- عدم مهارة الفرنسيين البحرية، وتفوق الإنجليز عليهم، ثم إلى حاجة الأسطول الفرنسي الظاهرة إلى النظام والرجال المدربين، وإلى الاستعدادات التي أشار (برويس) نفسه إلى ضرورة استكمالها جملة مرات، ثم إلى الاهمال في عمليات سير أغوار المياه وقياس الأعماق، وكذلك كانت مسؤولية الهزيمة تقع على عاتق بونابرت صاحب الراي الأعلى في عدم بقاء الاسطول بعد إنزال الجيش والمهمات.[5]

في نفس الوقت بدأت العلاقات بينه وبين المصريين تتدهور ليواجه المسلك العدائي من المصريين قام بونابرت في فبراير 1799 بحركة باتجاه سوريا، اتجهت قواته لمحاصرة عكا لكنه لم يستطع اقتحام مدينة عكا لأن الأسطول البريطاني كان يساعدها ضد قوات نابليون،

---

[1] – جي فارجيت، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، تر: محمد رفعت عواد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،2003م، ص 19.

[2] – أيمن أبو الروس، نابليون بونابارت، مطابع العبور الحديثة، القاهرة، 2013، ص49.

[3]– نابليون بونابرت: زعيم عسكري فرنسي من مواليد أجاكسيو في جزيرة كورسيكا الإيطالية، تلقى علومه العسكرية في ميريان، أصبح ضابط للمدفعية أنتقل بعد قيامه بعدة معارك في أوروبا إلى مصر وقام حملة ضدها عام 1798م نفي إلى جزيرة هيلانة وبها توفي. (أنظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج6 (، د، ن)، (د، م)، ص266.)

[4] – جي فارجيت، المرجع السابق، ص ص 20-21-22.

[5] – محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد على، مطبعة المعارف، مصر، (د.ت)، ص ص159-160.

فقفل عائدا إلى مصر، وفي 23 أغسطس بلغت بونابرت المتاعب التي تواجهها حكومة الإدارة في فرنسا مع النمسا وحلفائها فقرر العودة سرا تاركا أمر الحملة في مصر لنائبه كليبر.

ولسوء حظ الفرنسيين أغتيل كلير في 14 يوليو 1800 م على يد طالب أزهري كان جاسوسا للعثمانيين، وخلفه الجنرال مينو، كان الهدف الأكبر لمينو جعل مصر مستعمرة للجمهورية الفرنسية ويكون حاكمها، وفي 8 مارس 1801 رست قوة إنجليزية عثمانية لطرد الفرنسيين، وكان محمد علي ضمن القوة العثمانية التي نزلت أرض مصر وهو أول احتكاك له بمصر، وبعد معارك وصدامات، تم أسر مينو في الإسكندرية واستسلم وتنازل عن مصر وغادرت بقايا الحملة الفرنسية مصر عائدة إلى فرنسا في 30 أغسطس 1801.[1]

نتائج الحملة الفرنسية:

تعتبر الحملة الفرنسية حلقة في سلسلة الغزوات الاستعمارية في العصر الحديث. وإن كانت الحملة لم تمكث في مصر سوى ثلاث سنوات وعدة شهور، إلا أنه كانت لها نتائج هامة على المستوين الداخلي والخارجي. ويمكن اجمال هذه النتائج فيما يلى:

أولا: – أراد نابليون بغزو مصر أن يدخل النظم والحضارة الغربية إلى الشرق، وأن يطعم – لو صح هذا التعبير – حضارة الغرب بحضارة الشرق، وأن يجعل مصرا نموذجا لهذه التجربة. وفي هذا طمس لحضارة الشرق التي كانت جذورها متغلغة في التربة المصرية.

ثانيا: – لقد أيقظت الحملة بأحداثها العنيفة المصريين، وحركت فيهم الشعور الوطني، لاسيما وأن الغازي غريب عن البلاد ويختلف عنها دينا، فكانت هذه اليقظة الوطنية ايذانا بأفول حكم بكوات المماليك. [2]

[1] – جي فارجيت، المرجع السابق ص 19-20-21-22.

[2]– محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، (د، ن)، الاسكندرية، 1997، ص ص 34-35.

ثالثا: – نالت الحملة من قوة بكوات المماليك وأضعفتهم إلى حد كبير، بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك وخصوصا بعد مذبحة القلعة عام 1811.مما مهد الطريق أمام محمد علي بأن يحكم مصر حكما مطلقا، وأن يؤسس مصر الحديثة.

رابعا: – قضت الحملة على معظم نظم العصور الوسطى التي كانت سائدة في مصر وقتذاك، فمهدت بذلك السبيل أمام محمد علي للقضاء على البقية الباقية من تلك النظم.[1]

خامسا: – أنشأ نابليون الدواوين المؤلفة من كبار العلماء والتجار وممثلين الطوائف للنظر في شؤون العامة.[2]

سادسا: – أما أثار الحملة على مصر من الجانب الاقتصادي فكان بحصار الأسطول البريطاني السواحل المصرية الأمر الذي أدى إلى منع الإستراد والتصدير بطريقة شبه كاملة ومن الناحية البحرية، واستمرار العلاقة التجارية مع الأقاليم المجاورة عن طريق البر.[3]

[1]– المرجع نفسه، ص ص 34–35.

[2] – جي فارجيت، المرجع السابق، ص 23.

[3] – صلاح أحمد هريدي علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517–1882، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1999، ص 328.

خلاصة:

أصبحت مصر ولاية عثمانية، منذ عام 1517. ولم يتميز الحكم العثماني، في منهجه، عن حكم المماليك السابق عليه، إلا في استحداث أساليب التبعية وأدواتها، وخاصة جباية الضرائب. ومنذ عام 1600، بدأ يتزايد نفوذ القوى المحلية للمماليك، في مصر، مع تزايد درجة الإستقلال الذاتي، سياسيا واقتصاديا، حتى القرن الثامن عشر. فسادت ثقافة الحرب خارج مصر وداخلها، طوال القرن الثامن عشر، ما أسهم إسهاما كبيرا في تدهور اقتصاد الدولة.

بئس ما كانت عليه مصر، إبان الحكم العثماني، وخاصة بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر. فقد أصبح قادة المماليك هم حكامها الفعليين، بل إنهم تحكموا في الباشا العثماني نفسه، ورتبوا له مهمة تقليدية، فإذا عين الباب العالي واليا جديدا على مصر، ودخل القاهرة، ذهب بكوات المماليك لإستقباله، في الميناء النهري. وحيوه في موكب مهيب. ثم قادوه إلى القلعة، حيث يظل سجينا سجنا كريما، مدة ولايته.

وما يمكن استنتاجه هو أن مصر كانت محل أطماع وصراع بين الدولة العثمانية والمماليك والانجليز وفرنسا وفي 1798 جاءت الحملة الفرنسية على مصر واشتركت كل من القوى الثلاثة في إخراج الفرنسيين بحيث غداة الحملة الفرنسية، كان يتولى مشيخة البلد عثمان بك الطبل، الذي اعتزل الناس، في قلعة الجبل، بالقاهرة، بعد أن طاوله الطاعون، الذي اعترى بالبلاد، وأودى بحياة ألف من سكانها. وتقلد حكم مصر حكومتان متصارعتان: إحداهما برئاسة إبراهيم بك، والأخرى برئاسة مراد بك، اللذين اقتسما إيراداتها وسعيا فيها نهبا وسلبا واحتيالا، حتى تردت حالتها الاقتصادية. وبعدها حكمها عدة ولآت إلى عام 1805م استطاع ذلك الجندي الألباني أن يصل إلى منصب الوالي وذلك بتعاون من العلماء والشعب وبعد وصوله إلى الحكم بدأ في التخلص من الممالك في مدينة القلعة كما عمل على إبعاد العلماء وذلك لمنعهم من التدخل في الحكم.

الفصل الثاني:

أوضاع مصر في فترة حكم محمد علي باشا

1 - التعريف بشخصية محمد علي باشا.

2 - توطيد سلطة محمد علي في مصر.

3- القضاء على المماليك.

1 – التعريف بشخصية محمد علي باشا:

نشأ محمد علي [1]في كنف الحملة الفرنسية وقد فطن إلى أغراضها فعول على تحقيقها وتكوين دولة كبرى مستقلة في آسيا وإفريقيا تكون مصر قاعدتها [2]. ولد محمد علي في مدينة قولة من بلاد مقدونية، وتعرف عند اليونان بمدينة تيابوايس، أي البلد الجديدة، وذلك سنة 1182 هـ الموافق سنة 1769 م، توفي والده وهو صغير، ولما بلغ أشده التحق بالجهادية زمنا ثم اشتغل بالتجارة إلى سنة 1801 م. [3]

كان محمد على شخصية سيئة السمعة معروفا بالقسوة وغلظة الكبد ترسله الدولة العثمانية لتأديب القرى التي تتأخر في دفع ما يفرض عليها من المال، فيعسكر هو وأفراد حملته التأديبية حول القرية، ينهبون ويسلبون ويفزعون الأمنين، حتى يرى أهل القرية أن الأفضل لهم أن يدفعوا الأموال المطلوبة وكان محبا للعظمة إلى حد الجنون.[4]

وصفه كذلك عبد الرحمان الجبرتي فقال عنه بأنه مخادع وكذاب يحلف الأيمان الكاذبة، ظالم لا عهد له ولا ذمة يضمر السوء ويستخدم العنف والجور في نفس الوقت الذي يعد فيه بالعدل ولقد دعت هذه الصفات البعض بأن يصور محمد علي بأنه ميكافيلي، أو أنه تعلم فكر ميكافيلي (صاحب نظرية الغاية تبرر الوسيلة) فقيل له – أي محمد علي – مره أن ميكافيلي ألف كتابا اسمه الأمير، فكلف أحد النصارى والمحيطين به، وقد اعتاد أن يكون أغلب مرافقيه من النصارى و اليهود، واسمه أرتين بترجمة هذا الكتاب، وأن يوافيه كل يوم بصفحة مترجمة، فلما وصل إلى الصفحة العاشرة توقف عن المواصلة قائلا بأنه يمتلك من الحيل ما لم يخطر لميكافيلي على البال.[5]

---

[1] – أنظر الملحق رقم3، ص 80.

[2]– محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1962، ص 31.

[3] – محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، منشورات دار النفائس، بيروت، 1983، ص 390.

[4] – محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط 2، مؤسسة المدينة المنورة، (د.م)، 1988، ص 205.

[5] – علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001، ص ص 342 –343.

ولقد علق بعض الكتاب على ذلك بأن هذه الصفات التي رشحت محمد علي لأن يصبح واليا على مصر. جاء محمد على إلى مصر مع جنود الدولة العثمانية الذين قدموا لمحاربة الفريسيين من مصر بمساعدة انجلترا فانظم محمد علي في القوة البحرية التي اشتركت في واقعة "أبي قير"، ولما خرج الفرنسيون من مصر نصب محمد على قائدا على أربعة آلاف جندي ألباني، واستطاع بعد ذلك أن يكسب ثقة الأهالي والعلماء في مصر والسلطان العثماني وسعى في القضاء على منافسيه على ولاية مصر بطرق ملتوية وماكرة وخبيثة حتى أصبح واليا على مصر إبتداءا من 20 ربيع الأول سنة 1220 هـ الموافق 18 يونيو سنة 1805 م.[1]

منذ ذلك التاريخ يمكن القول بأن مصر أصبحت تتمتع باستقلال داخلي وثبات واستقرار، ليتنازل محمد علي، عن سلطانه لإبنه "إبراهيم باشا" في سبتمبر عام 1848م مرغما حسب أصح الأقوال حيث يقال أنه قد أصيب بالخرف في أواخر أيامه... ومات بقصر التين بالإسكندرية في أغسطس 1849 و ثم دفنه بالمسجد الذي يحمل اسمه بالقلعة بالقاهرة، وعينت الدولة العثمانية مكانه " عباس الأول" عام 1848.[2]

[1] – محمد صبري، المرجع السابق، ص31.

[2] – عصام عبد الفتاح، محمد علي أيام عبقرية الإرادة...وصناعة التاريخ، الشريف ماس للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ت)، ص24.

2- توطيد سلطة محمد علي:

كان جناب الصدر الأعظم قبل رحيله من مصر قد جاد وأنعم على محمد علي باشا بولاية الديار المصرية وأمره أن يرفق بالرعية،... ومازال محمد علي يتقدم في المراتب، ويرتقي في الوظائف والمناصب، حتى صار في رتبة علية، فأخذ ينفق الأموال على الفرسان والأبطال، ويستجلب خواطر الناس ويستميلهم إليه باللطف والإيناس، حتى استعبدهم بطيب الخلق[1]، كما لا يمكننا إغفال الدور الحاسم الذي لعبته الزعامات الشعبية التي كان أفرادها بمثابة وكلاء الشعب، ومناداتهم بمحمد على واليا مختارا على مصر يوم 13 مايو 1805، وكذلك دورهم في دعم حكمه ومساندته في سنواته الأولى في مواجهة دسائس رجال الدولة العثمانية من جهة والإنجليز وصنائعهم والمماليك من جهة أخرى، وذلك بغية خلعه من كرسي الولاية.

تولية محمد علي اختلفت، فلأول مرة يتم خلع الوالي العثماني على يد الأهالي على يد الحركة الشعبية من العلماء والمشايخ والتجار، وقاموا باختيار محمد على وتنصيبه واليا وليس مجرد قائم مقام (أي للقيام بعمل الوالي لحين مجيء الوالي المعين من قبل السلطان العثماني)[2].

كانت لا تزال سلطة محمد علي بعد توليه سنة 1805 م مزعزعة الأركان لأن اختياره واليا كان بالرغم من الباب العالي، فكان أولياء الأمور في قسطنطينية يتخيلون أول فرصة للتخلص منه، فقد كان لا يبعد أن يجاهر يوما ما بالعصيان في وجه الباب العالي كما فعل من قبل. كان المماليك يهددون القاهرة في أول ولاية محمد علي[3]، فأخذ هذا الأخير يستعد لمواجهة منافسيه والقضاء على العقبات التي تعترض طريقه إلى الحكم، فقد كان أمامه الأتراك والمماليك والألبان والتدخل الأجنبي.

---

[1] – إسكندر يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية، تح: أحمد عبد المنعم العدوي، مراجعة: رؤوف عباس، مركز الدراسات الأرمينية، القاهرة، 2009، ص49.

[2] – اسماعيل سراج الدين، المرجع السابق، ص 24.

[3] – عمر الإسكندري، سليم حسن، المرجع السابق، ص121.

ففي فبراير 1802 تولى خسرو باشا[1] زمام الأمور في ولاية مصر، التابعة لتركيا، وكان محمد علي في معيته، يشترك معه في وضع الخطط ويؤدي بعض الخدمات[2]، ولما صفت للدولة العلية إحكام الديار المصرية بعد رحيل الفرنساوية، صدر أمرها العالي إلى محمد علي باشا (خسرو) الوالي أن يبادر في الحال بالجنود إلى قتال المماليك ويضع السيف فيهم ويلاشيهم عن بكرة أبيهم، حتى تنطفي أخبارهم وتنمحي آثارهم.

وكان بينهم قائدان وهما أكابر الأعيان أحدهما يدعى عثمان بك البرديسي[3]، والآخر محمد بك الألفي، فلما اتصل بهما هذا الخبر وكان قد شاع واشتهر، أخذا في الاستعداد للمدافعة، فجمعا الأحلاف والأحزاب وانحاز إليهما الأعوان و الأصحاب[4] ثم أخذ محمد على باشافي الاهتمام و التشهيل واظهار الحركة و الخروج لمحاربة الألفي و البرديسي وأمر بخروج كل متصف بالجندية و الوجاقلية جليلهم وحقيرهم للمحاربة[5]، وقدم عليه قائدا جليلا معظما، فاستظهرا عليه وكسراه، وهزما جيشه وفرقاه، وكان محمد علي من جملة ضباط العسكر تحت رئاسة القائد الأكبر، فاتهم محمد علي بأنه كان لتلك الكسرة سببا، ثم وقعت بينهما المنافرة وأدت للخصام والمشاجرة.

وكان ذلك القائد يعهد منه الطمع في الاستيلاء على تخت القاهرة، فاجتمع بالوالي في بعض الليالي، وعند إمكان الفرصة قص عليه تلك القصة قائلا أن فلانا قد اتخذ أحزابا وأعوانا

---

[1]– خسرو باشا: من أصل إباضي (ت1855) وكان من رجال الدولة البارزين في عهد السلطان محمود الثاني وعهد عبد المجيد وقد عمل لمدة واليا لمصر (1801م)، وكان له موقف مناهض لمحمد علي باشا هناك. وقد أقام مكتبة في حي أبي أيوب الأنصاري باستنبول، وألف عشرة كتب في مجال الحياة العسكرية. (أنظر: أكمل الدين إحسان أوغلي، الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي،ج2، دار الشروق، (د، م)،(د، ت)،ص 4).

[2] – السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة التوكل بالجمامين، (د.م)، (د.ت)، ص ص 13 – 14.

[3] – عثمان بك البرديسي المرادي: وسمي البرديسي لأنه تولى كشوفية برديس بقبلى، فعرف بذلك واشتهر به، تحالف معه محمد علي ضد خسروا باشا ثم إنقلب عليه وانتهى الأمر به ووفاته بنواحي منفلوط بأسيوط. (أنظر: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن، ج 4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998، ص ص70–71).

[4] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص ص 51–52.

[5] – أمين سامي باشا، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية والقاهرة، 1928، ص202.

من العلماء المشهورين، والدوات المعتبرين، وهو كل يوم في همة وحركة، وقصده استخلاص المملكة فلما بلغ لمحمد علي الخبر فأخذ لنفسه الحذر[1]، وفي يوم 2 يوليو وصلت النجدات إلى حسن بك بقيادة البرديسي نفسه ومحمد علي، فسقطت دمياط وتحصن خسروا بقلعة العزبة "عزبة البرج" ولكنه انهزم في اليوم التالي، وأمر البرديسي بإرساله إلى القاهرة، حيث يقوم بشئون الحكم بها أثناء غيابهما إبراهيم بك، فاقتيد خسروا أسيرا إليها في 8يوليو.[2]

وفي رواية أخرى يقول محمد شفيق غربال في كتابه محمد علي الكبير " أن خسروا لم يقوى على إعادة تنظيم شؤون الإدارة المالية بعد الاضطراب والاختلال والحروب، كما أنه لم يقوى على إخضاع الأمراء وقد وضعوا أيديهم على الصعيد بعد أن أطلق الإنجليز سراحهم، أدى هذا إلى نقصان موارد خسروا المالية، وكان من جراء ذلك أن اختل دفع مرتبات، فهاجوا وأنزلوا خسروا عن كرسيه، ولكنه استطاع أن يهرب وأن يستقر في دمياط مترقبا فرصة الرجوع " وتولى ظاهر باشا كبير الألبانيين " قائم مقاميه" مصر انتظارا لقرار الدولة، لم تطل مدته أكثر من ستة وعشرين يوما، فقد وثب عليه رجلان من الانكشارية وقطعا رأسه، انتقاما مما جرى لخسروا واحتجاجا على محاباته أبناء جنسه في أمر دفع المرتبات المتأخرة[3] فعادت ولاية مصر شاغرة.

وفوتح أحمد باشا، قائد الإنكشارية لتولي الحكم فرضي بما عرضه عليه أعيان الترك ولكنه اشترط أن يؤيده محمد علي، رفض محمد علي ما عرضه عليه الوالي الجديد وأرسل إليه ينصحه بترك شؤون مصر لمصر، وقرر أن يخطو خطوة جديدة فيضرب الأتراك بالمماليك، ودعا هؤلاء لدخول القاهرة فاستمعوا له وشرعوا في الزحف عليها وقضوا على الإنكشارية وحركة أحمد باشا.[4]

[1] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص ص 51–52 –53.

[2] – محمد فؤاد شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801–1811م، ج1، مؤسسة هنداوي، (د.م)،2020، ص 164.

[3] – محمد شفيق غربال، محمد علي الكبير، دار الهلال، القاهرة، 1986، ص ص 25 – 26.

[4] – السيد فرج، المرجع السابق، من من 15 – 16.

ولما بلغت هذه الحوادث مسامع السلطان سليم الثالث عظم عليه ذلك الأمر، وأرسل علي باشا الجزايرلي[1] إلى مصر ليجلس مكان محمد خسروا باشا، ويقبض على العصاة ويتصرف بقصاصهم كيفما شاء، وعند وصوله الى هناك أخذ يحتال على المماليك والأرناؤوط ليلقيهم في شرك الهلاك[2]، وفي محاولة منه استدرجه البرديسي نحو القاهرة وقتله في الطريق، ثم كانت عودة الألفي زميله ومنافسه في الرياسة من إنجلترا [3].وبعد ذلك بأيام وقع النزاع والخصام بين محمد بك الألفي وعثمان بك البرديسي رغبة في السياسة وطمعا بنول الرياسة.

وكان لعسكر الأرناؤوط مال مكسور عند عثمان بك منذ ثمانية شهور، فلما رأوا ضعف حاله وقلة أنصاره ورجاله[4]، طالبوه بالرواتب وشددوا عليه في ذلك، ولما خاب أمله وضاقت عليه انحصر في داره في جماعة من أنفاره، فوفدت عليه العساكر والأغوات وأحاطوا بقصره من جميع الجهات في طلب الرواتب والنفقات، وكذلك فعلوا بغيره من البكوات وأكابر المماليك وأرباب الولايات، وبقي عثمان بك في منزله بضعة أيام وهم يترددون إليه بالتهديد وطلب الإنتقام، إلى أن ساعدته الفرص ففرمن بين أيديهم [5].

وإذا كان محمد علي قد حصل على صداقة العلماء ومحبة الأهالي، وارتقى بهده الواسطة إلى أن يكون هو الوالي، وفي أثناء ذلك اجتمعت الأكابر والعمد وأقاموا محمد علي قائم مقام على البلد وأرسلوا محمد خسرو باشا إلى القسطنطينية وولوا رشيد باشا محافظ الإسكندرية.[6]

---

[1] – لقب علي باشا الجزايرلي بهذا الاسم لكونه بدأ حياته العملية بصفه مملوك باي الجزائر. (أنظر: إلياس الأيوبي، محمد على سيرته وأعماله و آثاره، ادارة الهلال، مصر، 1923، ص 33.

[2] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص 54.

[3] – محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص 26.

[4] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص ص54–55.

[5] – ولكن الألبانيين ازدادت جرأتهم، وكان محمد علي يعضدهم سرا فأخذوا يطالبون البرديسي بمتأخرات مرتباتهم فلم يكن منه إلا أن فرض الضرائب الفادحة على سكان القاهرة فثاروا عليه وألجئوه إلى الهرب سنة 1804. (أنظر: محمد صبري، المرجع السابق، من 32).

[6] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص ص54 –55.

3 – القضاء على المماليك:

لما تبوأ المرحوم محمد علي باشا ولاية مصر [1] كانت العلاقات بين محمد علي والمماليك – منذ انفراده بالحكم – قد وصلت إلى طريق مسدود، وكان من الصعب على المماليك أن يقبلوا بالأمر الواقع، وهو أن محمد علي صار سيدا على مصر بلا منازع، حيث بدأ محمد علي حكمه وفي نيته القضاء التام على المماليك، فحاربهم في جهات مختلفة من جنوب مصر، ثم قضى عليهم نهائيا في مذبحة القلعة الشهيرة في مارس 1811.[2]

مذبحة القلعة:

أعرب محمد علي عن رغبته في الصلح مع المماليك والسماح لهم بالعودة إلى القاهرة ليعيشوا في سلام ووئام، وأكل المماليك الطعم وقبلوا العرض وأخذوا يتوافدون على القاهرة بعد أن ألقوا السلاح، وخلعوا رداء الحرب، وأصدر محمد علي إعلانا بالأمان العام والصفح عن الأمراء المماليك، حتى كان ذلك اليوم الدامي الذي استدرجوا فيه إلى القلعة ولم يغادروها إلا جثثا مصرجة في دمائها...

دبر محمد علي خطة اغتيال المماليك في سرية تامة، وخطوات محكمة [3]، حتى يتمكن من الدفاع عن البلاد في جبهة واحدة، أما إذا استمر الحال واضطر إلى مقاومة الإنجليز من جهة والمماليك من جهة أخرى فإن مهمته ستزداد صعوبة بلا شك، حيث كانت كل الدلائل تشير إلى أن المماليك سيتعاونون مع الانجليز. وقد تبين فيما بعد (بعد أن ضرب محمد على المماليك ضربته الحاسمة 1811 م) أن ظنه من ناحية المماليك كان في محله.[4]

وضعت ترتيبات المذبحة بحيث يتحرك الموكب وفي طليعة فرقة الفرسان الدلاة، ثم والي الشرطة، ثم أغا (محافظ القاهرة) ثم المحتسب ثم فرقة الوجاقلية وهي إحدى فرق جيش الاحتلال

[1] – أحمد فتحى زغلول، المحاماة، مطبعة المعارف، القاهرة، 1900، ص159.

[2] – ناصر الأنصاري، المرجع السابق، ص217.

[3] – جمال بدوي، محمد علي و أولاده بمصر الحديثة، مكتبة الأسرة، (د. م)، 1999 م، ص ص 65 –66 –67.

[4] – حسين كفافى، محمد على رؤية لحادثة القلعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،م)، 1992، ص 150.

العثماني، ثم كوكبة من الجنود الأرناؤوط يقودهم صالح قوش... ثم جماعة الأمراء المماليك يتقدمهم سليمان بك البواب....

عندما حانت اللحظة الحاسمة[1] خرج الجيش من باب القلعة المسمى بباب العزب، وأغلقت الأبواب، أما الحراس الذين كانوا يعطون ظهورهم للمماليك استداروا لهم، وانطلقت رصاصة في السماء، ولم ينتبه المماليك إلا بعد فوات الأوان !فقد كانت هذه هي الإشارة لبدء مذبحة لن ينساها التاريخ يوما، وانهال الرصاص من كل صوب وحدب على المماليك [2]، دوى النفير إيذانا ببدء الرحيل ونهض محمد علي فهب المماليك وقوفا وبادلوه عبارات الود والتحية واستأذنوه فأذن لهم، فامتطوا خيولهم واتخذ الركب طريقه منحدرا في الطريق الوعر الضيق المنحوت في صخور القلعة ويقضي إلى باب العزب المطل على ميدان الرماية حتى إذا اقتربت الصفوف الأولى من المماليك من باب العزب ارتج الباب وأغلق من الخارج إغلاقا محكما، ولم يفطن المماليك إلى إغلاق الباب وأخذت خيولهم تتزاحم بفعل الانحدار الطبيعي حتى وجدوا أنفسهم محصورين في الخندق الضيق، وفي حركة سريعة كان جنود الارناؤوط يتسلقون الصخور المطلة على جانبي الخندق ويشهرون بنادقهم نحو المماليك وفجأة... دون طلقة في الهواء... وبعدها انهمر الرصاص على المماليك من فوقهم وعن يمينهم وشمالهم ومن ورائهم.... وسدت منافذ النجاة أمامهم.[3]

[1] – جمال بدوي، المرجع السابق، ص ص65-66.

[2] – محمد أمير أيام المماليك "حكايات المذابح والعرش من الصعلكة إلى كرسي الحكم"، (د.ن)،(د.م)،(د.ت)، ص ص169-170.

[3] – جمال بدوي، المرجع السابق، ص ص65-66-67-68-69.

تكدست جثث القتلى بعضها فوق بعض حتى بلغ عددها 470 قتيلا هم كل من صعد إلى القلعة في هذا اليوم الدامي[1]، ولم يفلت منهم سوى (أمين بك) الذي وصل إلى الموكب متأخرا، فلما سمع أصوات الرصاص هرع إلى سور القلعة،... نجا من الموت وظل يركض في الصحراء – عبر سيناء حتى بلغ أرض لبنان، وعاش لاجئا في كنف أميرها بشير الشهابي وعفا عنه محمد علي، وفي الوقت الذي جرت فيه مذبحة القلعة، كان الجنود الأرناؤوط ينقضون على قصور المماليك في القاهرة، يذبحون الأمراء ويستبيحون نسائهم وينهبون أموالهم، واستمرت الفوضى ثلاثة ايام بلياليهم ولم تتوقف إلا بعد أن نزل محمد علي إلى الشوارع المدينة وتمكن من كبح جماح جنوده وأعاد الانضباط إلى المدينة.[2]

وأخضع محمد علي الصعيد إلى حكمه ودانت له مصر قاصيها ودانيها، ورجع المماليك الذين قدموا طاعتهم إلى القاهرة و أخذوا ينصرفون إلى أسباب الرفاهية و الرغد، وأغدق عليهم محمد علي من خزانة الحكومة ما جعلهم يستطيبون الإقامة في القاهرة ويؤثرونها على عيشة الكفاح و القتال.[3]

[1] – أورد الجبرتي في عجائب الآثار في التراجم والأخبار وصفا للحادث باعتباره شاهد عيان فقال".... فلما أصبح يوم الجمعة سادسة سفر الموافق أول مارس ركبوا الجميع و طلعوا إلى القلعة وطلع المصرلية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم فدخل الأمراء عند الباشا وصبحوا عليه و جلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم وثم إنجر الموكب على الوضع الذي رتبوه فأنجر طائفة الدلاة و أميرهم.. فلما أنجر الموكب...وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك أمر صالح بك أقوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد،فالتفتوا ضاربين المصرلية، وقد انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر الحجر المقطوع في أعلى باب العزب.....وعلم العساكر الواقفون بالأعلى المراد فضربوا أيضا،فلما نظروا ماحل بهم سقط في أيديهم وارتبكوا في أنفسهم وتحيروا في أمرهم ووقع منهم اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول...والرصاص عليهم من كل ناحية... وهرب كثير في بيت طوسون باشا طمعا في الالتجاء به و الاحتماء فيه، فقتلوهم...(أنظر:عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ص ص206-207.)

[2] – جمال البدوي، المرجع السابق، ص ص 65-66-67-68-69.

[3] – حسين كفافي، المرجع السابق، ص157.

خلاصة:

من خلال ما سبق عرضه في هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج التالية: – أن الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م تمثل أول احتكاك مع الحضارة الأوربية الحديثة مما دفع بمحمد علي إلى العمل على النهوض بمصر في شتى المجالات، فبعد أن حقق لمصر استقلالها الذاتي من خلال تصديه للحملة الانجليزية وسبقتها الحملة الفرنسية واستطاع بذلك أن يحول مصر من ولاية تابعة للدولة العثمانية إلى دولة ذات حكم ذاتي ترتبط بها اسميا فقط مع استطاعته تأسيس دولة حديثة احتوت جميع متطلبات الحداثة والمعاصرة.

تغير في نظام الحكم إذ أصبح محتكرا من طرف الأسرة العلوية عن طريق الوراثة للأكبر سناء مع إنشاء جيش قومي مبني على الطراز الأوربي الحديث قاد به الكثير من الحروب وقضى به على الحركة الوهابية بطلب من الدولة العثمانية.

الفصل الثالث

العلاقة العثمانية المصرية في حالة الوفاق

1- الحروب الوهابية 1811-1819م.

2- فتح السودان 1820-1822م.

3- حرب اليونان 1821-1828م.

4- حصار نافارين 1827م.

1-الحروب الوهابية في بلاد العرب 1811 – 1819 م:

1-1 الوهابيون ومذهبهم:

الوهابيون[1] قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية، بأرض العرب من بلاده الحجار، كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة والكرم، وبعد أن درس من مذهب أبي حنيفة في بلاده سافر إلى اصفهان ولاذ بعلمائها وأخذ عنهم حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وخصوصا تفسير القرآن ثم عاد إلى بلاده في سنة 1171 هـ ...، فأنشأ مذهبا مستقلا لتلامذته فاتبعوه واكبوا عليه ودخل الناس فيه بكثرة.[2]

وللعلم، لم يطلق الوهابيون الأوائل على أنفسهم أو حركتهم اسما بل كانوا يصفون أنفسهم ب "المسلمين" و " الموحدين" كما جاء في تاريخ ابن غنام(ت 1225 هـ) وابن بشر (ت 1290 هـ) وغيرهما.[3]

عبد الله بن سعود الوهاب:

حسب ما يذكر إسكندر بن يعقوب أغا في كتابه تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية " ظهر في قبائل الأعراب رجل يدعى عبد الله بن سعود الوهاب، وكان من الطغاة الملحدين، لا يعتقد بالأنبياء والمرسلين، إلا أنه كان شجاعا جسورا، وبطلا في الحروب منصورا ....، والغزو على قبائل العربان، وفي مدة يسيرة وبرهة قصيرة تبعه جموع كثيرة، فدوخ بلاد الحجاز، وانتصر على أهلها وفاز" .[4]

---

[1]– تنتسب الفرقة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي، المولود سنة 1111هجرية، والمتوفي سنة 1206هجرية. وكان هذا قد أخذ شيئا من العلوم الدينية، كما كان مولعا بمطالعة أخبار مدعى النبوة كمسيلمة الكذاب وسجاج والأسود العنسي وطليحة الأسدي، فظهر من أيام دراسته زيغ وانحراف كبير...(أنظر: مؤلف مجهول، الوهابية في صورتها الحقيقية، ط1، مركز الغدير للدراسات الأسلامية، (د.م)، 1994م، ص2.)

[2] – محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 404.

[3] – ياسين بن علي، خروج الوهابية على الخلافة العثمانية، (د.ن)، (د.م)، 2014م، ص8.

[4] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص 64.

تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أمير الدرعية محمد بن سعود الذي أيد الشيخ وسانده ونصره[1]، فلما كانت سنة 1222 هجرية الموافقة لسنة 1807م زحف عبد الله بن سعود الوهاب بعسكره إلى نواحي مكة، واعترض الحجاج والزوار، ونهب المسافرين والتجار ...، وبدل أمن الحرمين بالخيفة[2]، ... وبذلك دخلت الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والحجاز في حوزة آل سعود، الأمر الذي أثار العثمانيين وكلفت الدولة العثمانية واليها محمد علي باشا بالقضاء على عبد الله بن سعود الوهاب وأتباعه[3]، فله بلغ محمد علي باشا خبره جهز ولده طوسون باشا لقتاله .[4]

1-2 محاربة محمد علي باشا للوهابيين:

كانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم، حيث أن السلطان سليم الثالث(1204- 1222 هـ) حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة منها ماتقدم ذكره، ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري.[5]

لما رأى السلطان محمود أنه من الضروري قمع هذه الفئة التي يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الإسلام الأمر الذي جعله الأوروبيون مطمع أنظارهم للتمكن من فصم عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم، ولهذا كلف محمد علي باشا والي مصر بمحاربتها واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدي زعمائها وأرسل إليه فرمانا بذلك في القعدة سنة 1222 هـ (ديسمبر 1807م) .

[1] – اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص 129.

[2] – إسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرمني، المصدر السابق، ص 64.

[3] – إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 129.

[4] – اسكندر بن يعقوب أغا أبكاريوس الأرميني، المصدر السابق، من 64.

[5] – أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، (د.ن)، (د.م)، 1978، ص ص 3-13.

وحتى يتم محمد علي مشروعه في القضاء على الوهابيين، قام بأول خطوة وهي إبادة المماليك (مذبحة القلعة) [1]،ليشكل بعدها أول قوة بحرية خاصة به، تضمن له نقل مواد الإعاشة والذخيرة والجنود إلى مينائى "ينبع" و"جدة" على ساحل شبه الجزيرة العربية.

ورافق أحمد أغا(أحد أشجع قادة محمد على) والمحروقي (شهبندر تجار القاهرة)طوسون بك(ابن محمد على وقائد عام الحملة)[2] ليتسلم طوسون باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع إرساله إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين [3]، كما رافقه – ايضا– اثنان من كبار "علماء" القاهرة أرسلهما الوالى – خصيصا– لمناظرة فقهاء المذهب الوهابى .

وفي شهر أكتوبر سنة 1811، أقلعت الحملة من مصر واستولت على ميناء "ينبع الذي يقع على مسيرة ستة أيام من "المدينة المنورة". وفي يناير سنة 1812، سار طوسون بجيشه متوجها إلى المدينة المنورة لكنه فوجئ بكمين نصبته له قبيلة "بني حرب القوية في ممر ضيق . بين الجبال الوعرة . بالقرب من مدينة "صفرة": فهزم طوسون هزيمة قاسية اضطرته للعودة إلى "ينبع" مع ما تبقى من قواته. لكن المصريين نجحوا في إغواء جزء كبير من "بني حرب" واشتروهم بالذهب، خصوصا عشائرهم التي كانت تسيطر على الممرات الجبلية الوعرة وفي أكتوبر 1812، عبرت قوات طوسون تلك الممرات الوعرة بسهولة وحاصرت "المدينة المنورة" لمدة أسبوعين تقريبا، ثم احتلتها وطردت الحامية الوهابية منها (نوفمبر1812). وبعد ذلك، دخلت "مكة المكرمة" (يناير1813)، ثم "الطائف" و"جدة"؛ كما نجحت القوات المصرية في إلقاء القبض على "المضايقي" – وهو أخطر أنصار الوهابيين في الحجاز. [4](والذي كان

[1] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ص 406–407.

[2] – محمد صبري السوربونى، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والسألة الشرقية (1811–1849)، ج1، تر: ناجى رمضان عطية، مر وتق: أحمد زكرياء الشلق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص79.

[3] – محمد فريد بك، المصدر السابق، 406–407.

[4]– محمد صبري السوربوني، المرجع السابق، ص ص 79–80.

مواليا للديانة الوهابية)[1]، في قرية "بيسل"، شرق مدينة "الطائف". وهكذا، رجع إقليم الحجاز كله و"الحرمين الشريفين مجددا إلى سلطة الباب العالي بفضل الجيش المصرى.

وعلى الرغم من إخضاع إقليم "الحجاز "، فقد كان محمد على يدرك تماما أن سيطرة الوهابيين لاتزال راسخة على أغلب أجزاء شبه الجزيرة العربية، ولذلك [2]عزم محمد علي باشا عند ذلك على السفر بنفسه إلى بلاد الحجاز لقطع دابر الوهابيين وسافر من مصر بجيش عظيم على طريق السويس فوصل جدة في يوم 27 أغسطس سنة 1812م وسافر حالا إلى مكه وقبل أن يتسرع في عمل ما أصر على القبض على الشريف غالب الذي مكن الوهابيين من الاستيلاء على مدينتي مكة والمدينة بهروبه والتجائه إلى جدة وكان مذبذبا بين الوهابيين والمصريين ليرى أيهما يفوز بالنصر فيتبعه.[3]

قبض محمد علي باشا على الشريف غالب شريف مكة المكرمة وأرسله إلى مصر وأقام مكانه الشريف بن يحي ابن سرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز الوهابيين إلى جانب أنه قد توفي زعيمهم سعود في19 ربيع الآخر سنة 1229هـ (10 أبريل سنة 1814).

وفي إتمامه لمهمته سار طوسون باشا إلى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين في مدينة (الدرعية) عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس، ثم راسله عبد الله بن سعود الذي تولى الزعامة بعد موت أبيه وأرسل إليه يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لأمير المؤمنين، فأجابه طوسون باشا بأنه لا يمكنه إجابة ملتمسه إلا بعد أخذ رأي والده واتفقا على مهادنة عشرين يوما، عند ذلك أتى خبر عودة والده إلى مصر فأخذ على نفسه إتمام الصلح، فاتفق مع عبد الله بن سعود الوهابي على أن يحتل طوسون باشا بجيوشه مدينة الدرعية. [4]

---

[1]– أيوب صبري، تاريخ الوهابيين، تر: مسعد بن سويلم الشامان، دار ترجمان، 1296 هـ، إسطنبول، (د.ت)، ص 23.

[2] – محمد صبري السوربوني، المرجع السابق، ص ص 80، 79.

[3] – محمد فريد بك، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، (د.م)، (د. ت)، ص 26.

[4] – محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان حقى، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص ص407–408.

وفي هذه الأثناء سمع طوسون باشا خبر تمرد الجنود على والده بالعاصمة ونهبهم المدينة فرجع هو أيضا إلى العاصمة فوصل إلى القاهرة 3 نوفمبر سنة 1815م.[1]

بعد استتاب الأمن في العاصمة أخذ محمد على باشا في تجهيز حملة جديدة لمحاربة الوهابيين فجعل قائدها إبنه إبراهيم باشا[2]، فسار هذا الأخير إلى بلاد العرب فوصل ينبع في 09 ذي القعدة (1 أكتوبر 1816)، فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها في 29 جمادى الأولى سنة 1233 هـ (6 أبريل سنة 1818 م).

قام إبراهيم باشا بمحاصرة القرى الأربع المحيطة بالمدينة الدرعية، فاستمر الحصار عدة أشهر ولما رأى عبد الله سعود أن المصريين قد احتلوا ثلاث قرى من المدينة مال إلى التسليم وطلب من إبراهيم باشا في 7 ذي القعدة سنة 1233هـ (09 سبتمبر سنة 1818م) إيقاف القتال للمفاوضة في الصلح، وأتى عبد الله بن سعود إلى إبراهيم باشا[3] وقبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية إليه بشرط عدم تعرضه للأهالي بسوء وبالسفر إلى الإستانة كرغبة الحضرة السلطانية، وفي طريقه إلى هناك قتل بالقسطنطينية بمجرد وصوله .ولما هدأت الحال في بلاد الحجاز ونجد واستؤصلت شوكة الوهابيين منها عاد إبراهيم باشا إلى مصر فوصل القاهرة (9 ديسمبر 1819)، بعد ذلك تفرغ محمد علي باشا للإصلاح البلاد، وشرع في فتح السودان.[4]

---

[1]– محمد فريد بك،المصدر نفسه، ص ص407–408.

[2]– لما تبوأ محمد على باشا ولاية الديار المصرية في 10ربيع الثاني سنة 1220–8 يوليه سنة 1805 عين نجله إبراهيم باشا دفتردار لمصر أو متصرفا عليها في 15ربيع الأول سنة 1228–18 مارس سنة 1813. (أنظر: أمين سامي باشا، تقويم النيل، ج1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1916، ص128.)

[3] – إبراهيم باشا: هو أكثر أبناء محمد علي باشا ولد في سنة 1789 م ارتبط اسمه مع ابيه في أعمال عديدة، أتى مصر عام 1805م مارس العديد من المهام منها شؤون الإدارة والأعمال الحربية، تولى منصب الدفتردار 1807م أيضا حكم الصعيد تولى شؤون الحكم عن حياة أبيه 1848م لكن لم تزد فترة حكمه عن سبعة أشهر، وافته المنية يوم 10 نوفمبر 1848م عن عمر يناهز 60 سنة. (أنظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، (د.م)،1989، ص 572).

[4] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ص 408–409–410.

ولم تكن هذه الحرب[1] في حقيقة الأمر إلا صراعا بين قوتين ترميان إلى هدف واحد، وإن اختلفت مظاهر كل منها، إذ أن الوهابيين كانوا يسعون إلى اعادة مجد الدولة الإسلامية من الناحية الدينية، معتمدين في ذلك على أساس عربي، أما محمد على فكان يرغب في اعادة مجد الدولة الإسلامية، من الناحية السياسية، معتمدا في ذلك على كل العناصر التي تخضع للدولة . كان كل منهما يهدف إلى أحياء الدولة الإسلامية، وكان من خير الاسلام لو تعاونا وتكاثفا، ولكن الظروف السياسية و الأطماع الشخصية ضربت كل منهما بالآخر، ودفعت شعوب الشرق العربي ثمن هذا الصراع، ولم ينعم بجني ثماره إلا الغرباء والسادة، محمد على في مصر، والسلطان في القسطنطينية.[2]

[1] – أنظر للملحق رقم 04، ص

[2] – جلال يحي، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، ص ص 85، 86.

2 – فتح السودان 1820 – 1822م:

2 – 1 أسباب فتح السودان:

بعد أن تم النصر المبين لمحمد علي وقضى على الوهابيين ...، عنت له حاجة شديدة إلى فتح السودان وضمه إلى سلطانه ونفوذه، وذلك لأسباب عديدة:

- حماية حدود مصر الجنوبية، إذا كانت معرضا للمناوشات بين القبائل.
- علم محمد علي من مستشاريه الفرنسيين بأن السودان أرض واسعة، تستأهل الفتح والاستعمار ونشر الحكم المصري فيه.[1]
- لما قضى محمد علي على دولة المماليك في مذبحة القلعة هرب أناس كثيرون منهم واعتصموا بالوجه القبلى، فطاردهم إبراهيم باشا [2]حتى اجتاز الحدود المصرية، وتحصنوا في دنقلة وأقاموا بها القلاع والحصون، وقد احتال محمد علي في القبض عليهم والإيقاع بهم فلم يفلح.[3]
- استثمار مناجم الذهب الذي سمع بكثرة وجوده في السودان.
- تجنيد السودان في جيشه واعتماده عليهم بدلا من الألبان الذين رفضوا الإصلاحات العسكرية
- خوفا على مراكزهم.[4]
- أراد محمد علي فتح السودان ليتسنى له بذلك تجديد طرق القوافل التي كانت بين مصر والسودان، فيتسع نطاق التجارة بين القطرين، وينالـه من هذه التجارة ما يفرضه عليها من ضرائب حتى يشرد ما أنفقه في محاربة الوهابيين.[5]

---

[1] – عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص ص 107–108.

[2] – أنظر الملحق رقم 5، ص 82.

[3] – عمر الإسكندري، سليم حسن، المرجع السابق، ص134.

[4] – محمود شاكر، السودان، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ص22.

[5] – عمر الإسكندري، سليم حسن، المرجع السابق، ص 135.

– بدأ باشا مصر حملة السودان بهدف إخضاع أقاليم أعالي النيل الغنية الشاسعة.[1]

2-2 التجهيز للحملة:

• قام محمد علي بتجريد حملة على السودان عقب انتهائه من حرب الوهابيين فألف جيش أحدهما بقيادة اسماعيل باشا والآخر بقيادة محمد بك الدفتردار، وكان مجموع الجيش نحو (10 آلاف) جندي.[2]

ولما استكمل محمد على استعداداته العسكرية استأذن من الباب العالي في السماح له بفتح السودان تحت السيادة العثمانية، فلم يمانع السلطان محمود الثاني في إجابة هذا الطلب[3]، وفي حوالي منتصف عام 1820[4] تحركت الحملة صوب الجنوب عن طريق النيل.[5]

• حملة "محمد بك الدفتردار" بغرب السودان (أبريل سنة 1821) بينما كان إسماعيل باشا متقدما إلى سنار "قام محمد بك الدفتردار" بالتقدم بقواته إلى "كردفان" كما خطط له محمد علي باشا وكانت كردفان تابعة لسلطان " دارفور" وكانت رحلته إلى هناك شاقة للبعد المسافة وندرة الماء بالطريق فقطعوا هذه المسافة في سبعة أيام وتصدى لهم أثناء الرحلة نائب السلطان " محمد الفضل" بجيشه واشتبك مع قوات" محمد بك الدفتردار" في معركة حامية عند بلاده "ديار" وانتهت بانتصار القوات المصرية وتم اخضاع الأبيض عاصمة كردفان، وحاول سلطان "دارفور" استرداد الأبيض ولكنه لم يتمكن وبعد ذلك تفشت الأمراض والعدوى بين الجنود المصريين.[6]

---

[1] – مؤلف مجهول، الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر في عصر محمد على باشا، تر: عماد البغدادي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، 2005، ص90.

[2]– محمد مورو، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة 1956 (1798 – 1956)، (د.ر)، (د.م)، (د.ت)، ص 166.

[3] – محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص265.

[4] – عبد العظيم الديب، جنوب السودان وصناعة التآمر ضد ديار المسلمين، الدار السلفية، (د.م)، (د.ت)، ص 18.

[5] – محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص265.

[6] – محمد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، (د.ن)، (د.م)، 1999، ص ص 96 –97.

• حملة إسماعيل باشا وضم سنار وكردفان:

أرسلت حملة على رأسها إسماعيل بن محمد على، وصلت إلى وادي حلفا ثم (دنقله) – وقد فر المماليك بمجرد سماعهم عن تقدم الجيش المصري، وواصل الجيش زحفه مخترقا صحراء بيوضة فوصل إلى بربر في مارس 1821، وتقدم الجيش إلى (شندى) ثم احتل حلفاية وأم درمان – وتقدم في النيل الأزرق فاحتل واد مدنى ثم احتل (سنار) – واتخذ اسماعيل (وادى مدنى) مركزا لقيادته.[1]

وبذلك يكون محمد على قد حقق اندماجا أخويا بين شعب مصر وشعب السودان تقريبا وبأسلوب سلمي، وأنهى اسماعيل باشا حكم الفونج في سنار وقضى على حكم بادي السادس آخر ملوكهم، ثم على كل الملوك الذين كانوا يتبعونهم، إلا أن إسماعيل أصيب بمرض فعاد إلى مصر، وفي طريق عودته، أحرقه ملك الجعلين نمر صاحب شندي، فوجه محمد علي باشا إلى مدينة شندى فرقة انتقمت لإسماعيل[2]، كان قائدها محمد بك الدفتردار، حيث كان هذا الأخير وقت هذه الأحداث في كردفان فسارع بالتوجه إلى شندى وأخذ بالثأر هناك وانتقم بالتنكيل بكل من اشتركوا في هذه المؤامرة [3]، وبعد قتل اسماعيل أصبحت القيادة في يد محمد بك الدفتردار وقد اشتهر بالقسوة و العنف .[4] فما وجد إنسانا إلا قتله بالرصاص وهدم المساجد حتى مسجد الشيخ المجذوب الأول بالدامر وأمر بحرق جميع البيوت حتى وصل إلى المتمة.[5]

[1] – عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1997، ص169.

[2] – محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص97.

[3] – محمود شاكر، المرجع السابق، ص138.

[4] – عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص170.

[5] – الفحل الفكي الطاهر، تاريخ وأصول العرب بالسودان، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص63.

2-3 مقدار نجاح الحملة:

ومما تقدم نعلم أن الحملة على السودان لم تقم بتحقيق جميع الأغراض التي كان يرمي إليها محمد علي:- لأنه لم يجد في السودان ذهبا، ولأن طرق القوافل لم تثمر لكثرة الضرائب الفادحة التي كانت تجبى على بضائع عند الحدود المصرية، أما التجنيد من أبناء السودان فلم يتحقق تماما، لأنه جند منهم جيشا عظيما، ولكن جو مصر لم يكن ملائما لهم، فمات عدد عظيم من هذا الجيش.[1]

[1] - عمر الإسكندري، سليم حسن، المرجع السابق، ص138.

3 – حرب اليونان 1821 – 1828م:

3-1 الثورة اليونانية:

كانت بلاد اليونان إلى أوائل القرن التاسع عشر جزءا من السلطة العثمانية يحكمها الولاة الذين ترسلهم حكومة الإستانة وظلت على هذه الحال إلى أن ظهرت فيها الفتن والتمرد[1]، وأرادت التحرر من الحكم العثماني نشبت الثورة في كل بلاد المورة فاجتذبت عطف الرأي العام في أوروبا وخصوصا في روسيا [2]، فألف أعيانها وشبابها الجمعيات الثورية لتنظيم الثورة وبث تعاليمها أنحاء البلاد واستمالة الرأي العام في أوروبا،. وأهم هذه الجمعيات جمعية كبيرة تسمى (هيتريا)[3] تألفت سنة 1815 لتحرير اليونان من الحكم التركي وبث روح الثورة في النفوس[4]، نبتت وترعرعت بذرتها الأولى في مدينة "أوديسيا الروسية"، ... تسلم قيادتها الكونت والضابط الروسي " اسكندر بيسيلانتس " عام 1820م.[5]

كان "إسكندر إبيسيلانتي" و "ديمتريوس إبيسيتلانتي" أهم أعضاء الهيترى في خدمة القيصر الشخصية، إضافة إلى "كابود يستريا " زعيم الثورة اليونانية أحد وزراء القيصر إسكندر الأول.[6]

---

[1]– محمد مورو، المرجع السابق، من 169.

[2] – السيد فرج، المرجع السابق، من 81.

[3] – هيترى: كلمة يونانية معناها جمعية أخوية أطلقت على جمعيتين أسست إحداهما في مدينة ويانه عاصمة النمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان، والثانية لقصة سياسي محض وهو السعي في استخلاص من بلاد اليونان من الحكومة العثمانية وبقيت سرية إلى سنة 1821م حيث ابتدأت الثورة جهازا. وكان مركزها أولا بمدينه أودسا ثم انتقلت إلى مدينة كيف وكلتاهما ببلاد الروسية.(أنظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، (د.ن)، (د، م)، 1896، ص 206).

[4] – عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص 189.

[5] – علي حسون، العثمانيون والبلقان، ط2، (د.ن)، بيروت، 1986، ص 199.

[6] – إسكندر الأول : هو ابن الإمبراطور بولص الأول ولد سنة 1767 وتلوى بعد قتل أبيه في 23 مارس سنة 1801 وأدخل في بلاده عدة إصلاحات داخلية منها إبطال المصادرة والتعذيب وتخفيف الضرائب وأسس عدة مدارس جامعة ولطف قانون العقوبات وحارب نابليون الأول باتحاده مع جميع أوروبا عدة مرات، وانهزم أمام فرنسا في وقائع متعددة وأخيرا لما قصد نابليون بلاده وتقهقر أمام مدينة موسكو التي أحرقها الروس إتخذت أوروبا ضده بناء على إيعاز المترجم واستظهر على فرنسا ودخل إسكندر الأول مدينة باريس في 31 مارس سنة 1814م، (أنظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص207.)

وبدأت الثورة اليونانية بدخول " إبيسيلانتي" في المقاطعات اليونانية في عام 1821م محرضا على الثورة بلاد اليونان كلها.[1]

3-2- أسباب قيام الثورة اليونانية:

ترجع الأسباب الحقيقية للثورة إلى عاملين هامين هما:

- تطور المجتمع اليوناني والتدخل الأوروبي المباشر.

وفي العهد العثماني، كانت بلاد اليونان من الوجهة الجغرافية تتألف من مجتمعين متغايرين. أحدهما على البر الرئيسي والآخر في المستعمرات التي أقامها التجار اليونانيين كافة أرجاء البلقان، كما أنه لا يمكننا تجاهل الدور الذي لعبته الكنيسة اليونانية بحيث تحكمت الإمارات العثمانية الدانوتية من عام (1711 وحتى عام 1821م).

ومع ظهور نابليون على مسرح الأحداث، هبت رياح الثورة اليونانية، وكانت قد هيأت لها مبادئ الثورة الفرنسية وافكارها الماسونية، وسرعان ما سرت في أوروبا سريان النار في الهشيم، وخاصة في المناطق التي خضعت للاحتلال جيوشه، وكانت اليونان إحدى الضحايا.[2]

3- 3- نشوب الحرب اليونانية:

انتهز اليونانيون فرصة قيام "علي باشا" والي يانيه ضد الدولة العثمانية العلية، لإحداث الاضطرابات والهجان في كل أنحاء بلاد اليونان، فقد طغى هذا الباشا، وأراد الاستقلال والخروج من تحت السلطة، فصار يعمل الاستمالة اليونانيين إليه ضد الدولة العثمانية ولكن أطماعه الشديدة وأخلاقه الشرسة أكثرت أعدائه بالرغم من تملقه لليونانيين ونفاقه.[3]

وبمجرد انتهاء فتنة والي يانيا... وجهت الدولة العثمانية خورشيد باشا إلى بلاد اليونان لإخضاعها فتغلبوا عليه في واقعة الترموبيل وفرقوا شمل جنوده في ذي الحجة سنة 1237 (أغسطس سنة 1829) أما هو فآثر الموت على تحمل عار هذه الموقعة بعدما ناله من الفخر

[1] - مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص 40.

[2]- علي حسون، المرجع السابق، ص 198.

[3] - مصطفى كامل، المرجع السابق، ص43.

في قهر والي يانيا، فانتحر ومات مسموما، ومما زاد أهمية انهزام خورشيد باشا أن البحارة اليونانيين تمكنوا في يوم 27 رمضان سنة 1237 (17 يونيو سنة 1822) من حرق الدونانمة التركية في ميناء جزيرة ساقز ، واستشهد ثلاثة آلاف بحري بسببها .[1]

ولما استشرت الثورة سنة 1823 انتشرت الفكرة " الهيلينية" في أوروبا وظهر من جانب الحكومة البريطانية ميل إلى تأييد اليونانيين وقام اسكندر الاول يناصر الثوار ويساعدهم جهارا نهارا [2]، فمنذ أن تسلم الكونت والضابط الروسي "إسكندر بيسيلانتس" قيادة " هيتري" وهو يخطط لبدء عصيان في الإمارات الدانوتية، فتنتشر من ثم إلى كافة أرجاء البلقان، وكي يحاصر الجزر اليونانية، ويكمل امتداد لهيب الثورة إلى ربوعها، لجأ إلى مهاجمة البغدان في آذار، ودخل بوخارست، ولكن محاولته باءت بالفشل، ولجأ إثر انتكاسته إلى إضرام نار الثورة في بيلوبونيس (وهي ما عرفت منذ القرن الرابع عشر ميلادي باسم موره) والجزر اليونانية في ربيع عام 1821م الموافق 1236هـ، فضلا عن ذلك اصطدمت الحركة اليونانية في الإمارات الدانوتية مع حركة رومانية مشابهة.

وأجبر "إسكندر بيسيلانتس" على الهرب، بعد الهزيمة المنكرة التي حلت به أمام الفصائل العثمانية في "دراغاجاني"[3]. ولكن الدعم الخارجي سرعان ما نصب على الجمعية...، ولإنشغال الدولة بتمرد علي باشا في أبيروس ثم حدثت انتفاضة في البر اليوناني، ورفع "جيرمانوس" في 25 آذار راية الثورة فوق "أغيالاقرا " في "بيلوبونيسوس". [4]

[1] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص412–413.

[2] – إميل خوري، عادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789إلى سنة 1958، ج2، (د، ن)، بيروت، 1960م، ص 22.

[3] – هزيمة دراغاجاني: جرت معركة دراغاجاني في 19 حزيران عام 1821م(1236) هـ، وفيها هزم العثمانيون قوات التمرد اليونانية " فيلكي ايتريا" وأنهى العصيان المسلح اليوناني الأول الذي هدف إلى قلب الحكم العثماني في البلقان، وإقامة دولة يونانية مستقلة، وتبعد بلدة دراغاجاني145كم عن بخارست باتجاه الغرب ،(أنظر: علي حسون، المرجع السابق، ص200).

[4] – المرجع نفسه، ص ص 199 –200.

وعندما عجزت الجيوش العثمانية بقيادة الصدور العظام والسردارات الأكارم (مفردها سردار أكرم) طلب محمد على جعل الأسطولين العثمانى والمصري تحت القيادة المصرية المعقودة للقائد إبراهيم. ورفض (الباب العالى) هذا المطلب خشية أن يوجه محمد على جيوشه الموحدة نحو إستانبول، بمعنى أن الدولة كانت متنبهة لنوايا محمد على. وفي الحقيقة فإن نوايا محمد على في الاستقلال كانت معروفة لدول العالم الغربي، وكان السلطان يعلم بهذا أيضا.[1] ولكن لما رأى السلطان محمود ما ألم بجيوشه في هذه الحروب المستمرة والمناوشات الغير منقطعة وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية[2]، استنجد السلطان بمحمد علي، الذي أرسل حملة قوية يقودها إبنه ابراهيم[3]، حيث استطاع إحراز نجاحات كبيرة، رغم دعم الدول الأوروبية لليونان.[4]

ولعلنا نتذكر ما سبق أن قلناه، عند الحديث عن تأسيس الجيش المصري، أن القنصل البريطاني في القاهرة سولت Salt كان له شرف – أو تشريف – استعراض قطاعات الجيش المصري فور الانتهاء من تدريبها وفق النظام الجديد في أواخر سنة 1823 بصحبة الباشا، وأن أربع آليات من آليات الجيش الست قد بعث بها فوراً لليونان حيث غادرت المياه المصرية في شهر يوليو من العام التالي (1824)، وكان هذا إثر صدور فرمان سلطاني في 16 يناير سنة 1824 بتعيين محمد علي قائداً عاماً للقوات العثمانية في اليونان استجابة لنصيحة مترنيخ المتعاضد مع بريطانيا للعمل على إخماد الثورة وبالتالي الوقوف في وجه المطامع الروسية.[5]

فلم يسع محمد علي باشا إلا الإذعان للأوامر متبوعة الأعلى خوفا من حمل امتناعه على العصيان والاستقلال، وقد اختلف المؤرخون عند تعليل أهداف محمد علي باشا في

[1] – نخبة من الأساتذة، تقديم ومراجعة: يونان لبيب رزق، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009، ص ص179–180.

[2] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص413.

[3] – أنظر للملحق رقم 08، ص

[4] – أحمد زكرياء الشلق، المرجع السابق، ص195.

[5] – سليمان الغنام، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا (1811–1840)، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص89.

اشتراكه في إخماد الثورة اليونانية، فمنهم من قال أن هاجس تقسيم الدولة العثمانية ومحاولة محمد على الوقوف إلى جانبها لتظل صامدة ضد الدول الأوروبية، هو الدافع له للاشتراك في هذه الحرب[1] ، كما ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك كله مؤكدين أنه لم يشترك في هذه الحرب إلا بعد أن وعده السلطان محمود الثاني بإعطائه جزيرة كريت، بعد القضاء على ثورة اليونان، [2] وكذلك أثارت الدول الأوروبية على محمد علي بقبوله المهمة وأوهمته بأنه سيكون أكبر زعيم في المنطقة ويمكن أن يؤدي به الأمر ليكون خليفة المسلمين بعد أن يضعف سلطان الخلافة.

تحركت جيوش مصر بقيادة إبراهيم باشا ومستشاره سليمان باشا الفرنساوي بحرا من الإسكندرية عام 1239 هـ/1823م باتجاه كريت وشبه جزيرة المورة مركز التمرد الصليبي، ... ودخل أثينا عام 1241 هـ/1823م رغم معاونة القائد الانجليزي البحري اللورد كوشران الصليبين اليونان.[3]

لم يلبث إبراهيم باشا أن أمن مدينة كورون التي كان يحصرها اليونانيون في 3 شعبان 1240 (23 مارس سنة 1825) ثم فتح مدينة (ناورين)، الشهيرة بعد حصار شديد ودخلها منصورا في 28 رمضان سنة 1240 (12 مايو سنة 1825) وبعد قليل فتح مدينة (كلاماتا)، وفي 23 مايو احتل مدينة (تريبولتسا)، ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان محاصرا مدينة (ميسولونجي) لمساعدته على فتحها ....، وفي 14 رمضان سنة 1241 (22 أبريل سنة 1826م) وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة (أكروبول).[4]

[1] – عبد العزيز نوار، تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص ص 122، 123.

[2] – محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، منشورات دار الثقافة للطباعة النشر، القاهرة، 1976، ص 141.

[3] – ابراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014، ص435.

[4] – محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ص 415-416.

وعندما أوشك التمرد على الإنتهاء قامت الدول الأوروبية بالتدخل لصالح الروم، حيث كانت روسيا هي رائدة فكرة التدخل، فقد جعل القيصر "نيقولا" من هذه المسألة مسألة شرف. ذلك لأنه وجد أن استقرار ابن محمد علي باشا في كل من "المورة، وكريت" من شأنه أن يجعله –أي محمد علي – مسيطرا على الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، ووجد القيصر أن في ذلك ضربا للمصالح الروسية، وكذلك كانت إنجلترا تفضل وجود دولة عثمانية ضعيفة و أو "يونان" ضعيفة أكثر مما تفضل وجود والٍ قوي– كوالي مصر، ولهذا السبب اتفقت بريطانيا و روسيا على تداول هذا الأمر وأعدا له بروتوكول "سانبطرسبرج" في 4 أبريل 1827م. وقد تضمن هذا البروتوكول "مادة " تنص على أن: "تصبح اليونان دولة مستقلة استقلالا ذاتيا وهي في نفس الوقت تابعة للدولة العثمانية – بدفع الضريبة – مع إخراج كل الأتراك – المسلمين– من اليونان.[1]

وبذلك دخلت الثورة اليونانية في ثلاث مراحل:

1–مرحلة النجاح المحلي 1821 – 1825م.

2– مرحلة الأزمات الناجمة عن تدخل محمد على باشا عام 1826 – 1828م.

3–عهد التدخل الأوروبي الذي انتهى باعتراف الدولة العثمانية باستقلال اليونان عام 1832م؛

وتوسعت الثورة فشملت بيلوبونيسوس وأواسط اليونان وجزيرة كريت، واحتل الثوار " ميسولونغي" " أثينا" " ثبيس" .[2]

[1]– ثريا شاهين، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، تر: محمد حرب، دار المنارة، جدة، 1997م، ص– ص 76، 75.

[2] – علي حسون، المرجع السابق، ص200.

4- حصار نافارين 1827م:

لم يكن محمد على برغم استعداده لتقبل الحلول السلمية، غافل عن أهمية تعزيز موقف مصر وقوتها في بلاد اليونان وهكذا وصل المدد الإضافي الذي أعده، إلى ميناء نافارين في 09 سبتمبر 1827.

ساء الحلفاء بطبيعة الحال وصول إمدادات مصرية وتركية إلى نافارين. وحدث لسوء الحظ ما توقعه محمد علي إذ ظهر على مسرح شبه جزيرة اليونان قادة الأساطيل الحربية الثلاثة الإنجليزية والفرنسية والروسية.

وفي يوم 21 ستمبر 1827 قابل أميرال البر الفرنسي دي رينيه، إبراهيم باشا وأبلغه رغبة الحلفاء في إعلان هدنة تتوقف خلالها جميع العمليات العسكرية لحين الوصول إلى تفاهم بين المسؤولين على المستوى الأعلى في دول الحلفاء وبين سلطان تركيا ومحمد علي، إزاء ذلك تم التفاهم على ألا يقوم إبراهيم باشا بتحركات، إلا بعد أن يتسلم من الباب العالي أو محمد علي أمر رسميا.

وعلى كل فقد أدى إيقاف ابراهيم باشا للعمليات العسكرية في اليونان، بالإضافة إلى ارتفاع معنويات ثوار اليونان وإمكاناتهم بفضل التعزيز العسكري للقوى الأوروبية، أدى ذلك إلى إنتهاز الثوار لفرصة السكون الذي صاحب الهدنة واستغلاله في القيام بنشاط واسع في خليج كورنث، فحاصروا جزيرة كريت ونجحوا في إبادة الحامية العثمانية، وهنا رأى إبراهيم أن يتحلل من ارتباطه بالهدنة.[1]

بعث إبراهيم باشا فرقة من جيشه لضرب الحصار على مدينة (نافارين) التي كان الثوار قد إستولوا عليها وامتنعوا بها، وكانت من أهم مواقع الموره، فحاصرها برا وبحرا[2]، ففي يوم 20 أكتوبر أقلعوا بسفنهم الحربية قاصدين خليج نافارين ولكن الأتراك كانوا دائما يرتابون في نوايا "كودرنجتون" وأصحابه، ولذلك أطلقت البنادق الرصاص على بحارة إحدى السفن الإنجليزية

[1] – جميل عبيد، قصة احتلال محمد علي لليونان 1824– 1827، (د.ن)، (د.م)، 1990، ص ص 147–148–149.
[2] – عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص 197.

فأجابت هذه على ذلك باطلاق قنابلها على الأسطولين التريكي والمصري وإذ ذاك نشبت معركة حامية استمرت من منتصف الساعة الثالثة إل الغسق. وقد اسفرت عن تدمير الأسطول الإسلامي على بكرة أبيه[1]، واشتدت مقاومة اليونانيين وتكبد المصريون الأهوال في حصار المدينة، فقام ابراهيم مع بقية جيشه من (مودن) ليشدد الحصار على نافارين فهاجمته في طريقه إليها فرقة من اليونانيين أتو لنجدة حامية نافرين فهزمهم إبراهيم باشا وأسر قائدهم وبدد شملهم وشدد الحصار على المدينة برا وبحرا.

كانت هذه الواقعه هزيمة كبرى أصابت اليونانيين، وقد رفعت هذه الواقعة من شأن الجيش المصري، فإنها أول معركة خاضها في القارة الأوروبية بعد حروبة السابقة في آسيا وأفريقية، وكانت فاتحة انتصاراته في حرب المورة.[2]

[1] – هنرى دودويل، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد على مؤسس مصر الحديثة، تعريب: أحمد محمد عبد الخالق بك؛ على أحمد شكرى، تقديم: محمد عفيفى، المركز القومي للترجمة، مصر، 2007، ص ص 102–103.

[2] – عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص ص 197– 198.

- **نتائج معركة نافرين:**

تعد معركة نافرين واحدة من المعارك البحرية التي غيرت مجرى التاريخ، وغيرت مواقع الكثير من القوى المعروفة آنذاك، وكانت خلاصتها هو الانهزام الذي وقع لأكير الأساطيل البحرية، وهو تحطم الأسطول العثماني، .... واستقبلت الشعوب الأوروبية هذه الحادثة بمظاهر الفرح والسرور، وهكذا تحقق مخطط الأعداء، فأضعفوا قوات محمد علي، وفصلوا جزءا من ديار الإسلام عن الدولة العثمانية، لقد قامت فرنسا وإنجلترا بعمل مزدوج، حيث شجعوا السلطان على إرسال جيش للقضاء على التمرد في بلاد اليونان، ثم قضوا على ذلك الجيش.

ولما رأى محمد علي باشا والي مصر ما حل بأسطوله، أمر ولده بالانسحاب وقامت القوات الفرنسية بأخذ أماكن جيش محمد علي المنسحب، وقامت فرنسا و إنجلترا بعقد مؤتمر قرروا فيه فصل بلاد اليونان عن الدولة العثمانية، على أن يحكمها حاكم نصراني تختاره الدول الثلاثة.[1]

[1] – تامر البدر، أيام لا تنسى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011، ص ص247، 248.

خلاصة (استنتاج):

فإن محمد علي قد أظهر ولائه للدولة العثمانية، وذلك عن طريق استجابته لطلب السلطان، ووجه حملاته إلى الجزيرة العربية، وكان خلال هذه الحملات يأتمر بأمر السلطان العثماني، فتراه يسحب جيوشه من الأحساء عندما صدر فرمان إليه بذلك، حتى أن إبراهيم باشا قد أكد بنفسه جهله بأهداف حملته العسكرية الموجهة لدرعية، وأنها تمت بأوامر الباب العالي، ومما يؤكد صدق تبعية محمد علي السلطان العثماني في تلك الفترة، تيقظه للسياسية البريطانية تجاه السواحل اليمنية مثبتا بذلك ولائه للباب العالي.

كما أن الباب العالي نفسه كان لديه شيء من التأكد عن الولاء الذي يحمله محمد علي لسلطانه، فنجد أن الصدر الأعظم يكتب لمحمد على رسالة بتاريخ 16 جمادى الثانية سنة 1235 هـ، الموافق 31 مارس سنة 1820، يحذره فيها من أعمال الإنجليز التي ينوون القيام بها في الخليج العربي.

الفصل الرابع

العلاقة العثمانية المصرية في حالة الصدام

1- حرب الشام الأولى 1831-1833م.

2- حرب الشام الثانية 1834-1839م.

3- إنجلترا والحل الدولي (معاهدة لندن 1840م).

1 – حرب الشام الأولى 1831 – 1833م:

1-1 أسباب الحملة على بلاد الشام:

كانت خسارة مصر في حرب اليونان فادحة كما رأينا، وطمع محمد على في تعويض من الباب العالي، واتجهت أطماعه للشام فطلبها من الباب العالي نظير جزية كبيرة، ولكن الباب العالي كان يعمل لهدم محمد على وانتقاص سلطانه، لا لبنائه ومد ملكه، فرفض ملتمسه.

وراح محمد على يدبر الأمر لينال ما يريده معتمدا على القوة، واتخذ لذلك عدة أسباب:

- أن حدود مصر الطبيعية من ناحية الشمال هي جبال طوروس الفاصلة بين الأناضول وسوريا.
- أن الاستيلاء على سوريا سيمد النشاط المصري بطاقة بشرية، وطاقة اقتصادية تتمثل في الأخشاب والفحم والنحاس والحديد.[1]
- لم تغب الشام كما ذكرنا سابقا عن خلد محمد علي، فبعد الانتهاء من حرب المورة طلب من السلطان ولاية صيدا مكافأة له، ولكن أسند له حكم كريت، ومضت نزعة الحصول على الشام تلاحقه.

وجمع سوء النية بين السلطان ووالية على مصر، فعل الأخير يرى أنه بسيطرته على الشام سيقف حائلا أمام أي عدوان عثمانى يهدف لانتزاع مصر منه، فبدله لكي يحافظ عليها يجب أن يخلق الحواجز لحمايتها، إذن فالاستيلاء على هذه المنطقة في إطار ذلك يعد مسألة دفاعية عن الغزوات الخارجية....، فنرى محمد علي يكتب إلى وكيله في الإستانة عن هذه الأهمية بقوله " إن الشام لازمة لسلامة مصر "، بالإضافة إلى أن محمد علي آراد استغلال موارد الشام لخدمة أغراضه.[2]

[1] – أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986، ص406.

[2] – لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام 1831 – 1841م، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 20.

بينما كان لخالد فهمي رأي آخر في كتابه " كل رجال الباشا محمد على وجيشه وبناء مصر الحديثة " حيث قال: – لم يعلن عن الهدف الحقيقي لهذه الاستعدادات، ودارت التكهنات خلال صيف عام 1831 في لندن وباريس وإسطنبول حول الغرض من تزايد النشاط العسكري الذي لوحظ في الإسكندرية والقاهرة. فقد تزايدت موجات التجنيد إلى معدلات أثارت شكوك القوى الأوروبية في غرضها الحقيقي، وشهدت الترسانة البحرية في الإسكندرية زيادة محمومة في نشاطها، وأعدت المصانع الحربية للإنتاج الكبير وألغيت إجازة الجمعة للوفاء بالأهداف التي وضعها الباشا.[1]

1-2 النزاع مع الباب العالي:

أدرك محمد على أن الباب العالي لا ينوي أبدا منحه الشام شرع محمد علي في بناء أسطول جديد وإعادة تسليح جيشه لغزو الشام، وخاطب البريطانيين والفرنسيين ليحصل على دعمهم لطموحاته.[2]

كان محمد علي يعرف تماما أن الدولة العثمانية بعد القضاء على الإنكشارية، وحروب اليونان، وحروب البلقان، تمر بأزمة عسكرية في الجيش الجديد الذي لم يتم بعد تدريبه والتسليح، في الوقت الذي أصبح جيشه هو يتفوق على جيش الدولة عددا وعدة [3]، وعند إذن عول على تحقيق أهدافه عن طريق الحرب.

أدرك محمد علي ضعف السلطان وفهم بأنه يستطيع أن يفرض عليه أي شروط كانت إذا ما لجأ إلى القوة. ولذلك بدأ يستعد للصراع مع الباب العالي.

وبهذا الخصوص كتب ماركس: « لقد فقد الباب العالي هيبته في عيون رعيته نتيجة 1828 – 1829م الفاشلة، وعندما تضعف السلطة العليا – كما هو مألوف عادة في

[1] – خالد فهمي، كل رجال الباشا محمد على وجيشه وبناء مصر الحديثة، تر: – شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص ص 95-94.

[2] – يوجين روجان، العرب من الفتوحات إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011، ص101.

[3] – محمد كمال الدسوقي، المرجع السابق، ص164.

الإمبراطوريات الشرقية–، تستعر انتفاضات الباشوات الموفقة، ومنذ تشرين الأول / أكتوبر 1831م، نشب خلاف بين السلطان ومحمد علي – باشا مصر الذي كان قد آزر الباب العالي أثناء الانتفاضة اليونانية".[1]

1-3 صراع محمد علي من أجل سوريا وفلسطين:

جرت أحداث ربط العداء بين محمد علي وسليمان والي صيدا في الوقت الذي جمعت المصالح بين والي مصر ويوسف باشا كنج والي دمشق...، رأى محمد علي الاستفادة من الموقف وتقريب الموالين له للعمل ضد أعدائه، فطلب من الباب العالي أكثر من مرة يلتمس عزل سليمان باشا " لكونه يستعمل جملة حركات ضده يقصد بها تأخيره مأمورية الحجاز المحولة عليه"، ويطلب العفو عن يوسف باشا كنج.[2]

لم يمض وقت طويل إلا وقد قررت الحكومة السلطانية معاقبة محمد علي، وهو ما علم من جواسيسه المندسين في بلاط السلطان. وقد اتخذ محمد علي من هذا الأمر ذريعة للقيام بمحاولة مستقلة للاستيلاء على سوريا[3]، وخاصة أن السلطان محمود ظل غير مكترث بمطالب محمد على باشا حتى اضطره إلى التصريح جهارا بأنه سوف يحصل عليها مضاعفة وكانت الجيوش والجمال والذخائر والمؤن والأسطول على الأهبة التامة للتوجه إلى الشام إذا بوباء الكوليرا قد تفشى في البلاد ولبث يستأصل أهلها استئصالا مدة 24 يوما من أغسطس وسبتمبر 1831 فأهلك منهم في هذه المدة 150000 نفسا من بينهم 28 أوروبيا...ولما انتهى الوباء واندثرت آثاره من البلاد اجتازت الحملة المصرية حدود سوريا.[4]

[1]– لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، 1985م، ص 177.

[2] – لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 23.

[3] – أنينل ألكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص29.

[4]– ادوار جوان، مصر في القرن التاسع عشر، تر: محمد مسعود، (د.ن)، القاهرة، 1921، ص775.

ففي ديسمبر عام 1831 استغل محمد على الخلافات التي تفجرت بينه وبين عبد الله باشا والي عكا فوجه إليه جيشه قوامه 24 ألف[1]، وستة آلايات من المشاة وأربعة من الفرسن وأربعين مدفع ميدان وأكثر منها للحصار[2] متجها إلى الشام عن طريق البر والبحر في وقت واحد، وكأنه بذلك يريد حصار عكا من الجهتين قبل أن يأتيها المدد[3]، فسار الجيش برا بقيادة إبراهيم باشا الصغير. وسار الاسطول بحرا بقيادة عثمان نور الدين بك. وعين ابراهيم باشا الكبير ابن محمد علي باشا قائدا عاما للحملة، وسافر بحرا من الاسكندرية إلى يافا، ونزل هناك إلى البر وقصد إلى حيفا ومعه أركان حربه ومدافع الحصار الضخمة.

وجعل إبراهيم باشا مدينة حيفا قاعدة لأعماله الحربية ومركزا للقيادة العامة. وما إن وطئت قدماه أرض المدينة حتى توافد عليه الزعماء ورجال الدين وقدموا له خضوعهم وعرضوا عليه مساعدتهم [4]،.... واستمرت القوات البرية في فتح المدن، الواحدة تلو الأخرى، حتى التقت القوات البحرية وضربت الحصار حول مدينة عكا من البر والبحر في 20 جمادى الآخرة سنة 1247هجرية، 26 نوفمبر سنة 1831 م.[5]

قاد إبراهيم باشا (1789-1848م) الحملة المصرية على بلاد الشام...، فاحتل جيشه غزة ويافا وحيفا دون مقاومة شديدة ثم حاصر عكا واحتلها[6] في 27 ذي الحجة سنة 1247هجرية، الموافق 27 مايو سنة 1832م[7]، وتوغلت قواته نحو العمق السوري واشتبكت مع العثمانيين في معركة كبيرة في تموز 1832م قرب حمص ودحرتهم. ثم استولت على

---

[1]- أنينل ألكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص29.

[2] - ادوار جوان، المرجع السابق، ص 775.

[3] - محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 449.

[4] - حبيب جاماني، إبراهيم في الميدان، ادارة الهلال، مصر، 1934، ص11.

[5] - محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 449.

[6] - جعفر عباس حميدي، نوري عبد الحميد خليل، اسامة عبد الرحمن الدوري(وآخرون)، تاريخ البلاد العربية الحديث والمعاصر، ط3، (د.ن)، العراق، 2017، ص35.

[7] - عايض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1831-1839، (د.ن)، (د.م)، 1414 هـ، ص 80.

مدينتي حماة وحلب[1]، وكان...هذا بمثابة المفتاح الذي سهل طريق قوات محمد على للاستيلاء على الشام.

وكان الباب العالي قد اضطرب عند سماعه زحف الجيوش المصرية على الشام، وطلب من محمد على التوقف عن هذه الحرب[2]، وتقديم طلباته للسلطان ليحكم فيها بينه وبين والي عكا بالطرق السلمية، ولكنه لم يستجب لذلك إلا بعد أن احتل القسم الجنوبي وطالب بسرعة إقطاعه ولايتي عكا ودمشق، وعندها غضب السلطان، وأصدر فرمان بعصيان محمد علي وابنه.

أرسل الباب العالي جيوشا تحت قيادة حسين باشا لمواجهة إبراهيم باشا...، في حين أن محمد علي لم يقتنع بعكا حين سقوطها في أيدي قواته فقد سلمت له دمشق في 14 محرم سنة 1248هـ، 15 يونيو 1832م، في حين أسطوله البحري قد استمر في فتح مدن السواحل الشامية كاللاذقية وبيروت وصيدا، ثم سار ابراهيم باشا بجيوشه والتقى بجيوش حسين باشا عند مدينة حمص، وانتصر عليه، ثم دخل مدينة حلب في شهر صفر سنة 1248هـ، الموافق يوليو سنة 1832م.

انفتح بذلك الباب أمام جيوش ابراهيم باشا للسيطرة على أسيا الصغرى، عند ذلك دعت الدولة العثمانية... الصدر الأعظم رشيد محمد باشا في محاولة له صد إبراهيم باشا، ولكنه وقع أسيرا بيد الخيالة المصريين....، وانتشار خبر أسره بين جنده ساهم في اختلال نظامهم وانهزموا في تلك المعركة في 28 من شهر رجب سنة 1248 هـ، الموافق 21 ديسمبر سنة 1833م، وهي معركة قونية الشهيرة، والتي تعتبر تحولا حاسما في حروب الشام الأولى التي خاضها محمد على ضد الدولة العثمانية.[3]

[1]– جعفر عباس حميدي، نوري عبد الحميد خليل، اسامة عبد الرحمن الدوري (وآخرون)، المرجع السابق، ص 35.

[2] – أنظر الملحق رقم 6، ص 83.

[3]– عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 83,82,81,80.

1-4 صلح معاهدة كوتاهية (اتفاقية كوتاهية 1833م):

لقد حقق جيش محمد علي الحديث انتصارا ساحقا على الجيش العثماني، الذي كان لايزال في طور البناء، ويلاقي السلطان صعوبات جمة في تشكيله وتزويده، بعد أن ألغى نظام الإنكشارية. واستفاد إبراهيم من حالة التذمر التي سادت بلاد الشام، جراء تردي الأوضاع الاقتصادية واستفحال الاحتكارات الأجنبية، وإغراق السوق المحلية بالبضائع المستوردة، التي أدت إلى كساد الصناعات المحلية وانهيار الحرف اليدوية، وكذلك من ردة فعل الناس على زيادة الضرائب لتمويل نفقات الجيش الجديد، وعلى التجنيد الإلزامي الذي فرض لتوفير الطاقة البشرية لذلك الجيش.[1]

ففي فبراير 1833م[2] تقدم إبراهيم باشا بجيشه فاحتل (كوتاهية) وصار على مسافة خمسين فرسخا من الإستانة، ثم أنفذ كتيبة من الجنود احتلت (مغنيسيا) بالقرب من أزمير[3]، وقد أثار ذلك اضطرابا شديدا في إسطنبول، .... وعندما أحس محمد علي بما آلت إليه السلطة المركزية من ضعف لم يكتف بما قدمه له السلطان من تنازلات فراح يطالب بأراض إضافية، إيالات الشام (دمشق وحلب وسوريا....).

ونتيجة لعناد محمد على وإلحاح السافرتين الفرنسية والإنجليزية، إلى جانب المخاوف المرتبطة بوجود قوات روسية فوق أراضي الإمبراطورية العثمانية قرر محمود الثاني التضحية بأدنة وإعطائها للباشا المصري، في الخامس مايو 1833 أصدر السلطان فرمانا بتعين محمد علي حاكما على سوريا وكيليكيا[4]، وإزاء هذا النصر الباهر، تحركت الدول الأوروبية، وتوسطت للصلح[5] ليتم توقيع معاهدة كوتاهية في مدينة كوتاهية في 8 أيار سنة 1833م من إبراهيم

---

[1] – الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996، ص ص 261,262.

[2] – أنينل ألكسندروفنادولينا، المرجع السابق، ص30.

[3] – عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 255.

[4] – أنينل ألكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص ص 31-33.

[5]– إلياس شوفاني، المرجع السابق، ص262.

باشا بالنيابة عن والده مفوضا ومن البارون روسن من رجال سفارة فرنسا بالإستانة من قبل تركيا إلى أن صادق عليها السلطان محمود ومحمد على باشا فإن انكسارات الجيش العثماني المتوالية بقتال إبراهيم باشا جعلت الدولة تلقى نفسها في يد عدوها الأكبر قيصر روسيا ومن شروط هذه معاهدة أن تكون حكومة مصر لمحمد على باشا وأولاده الأكبر فالأكبر وراثية وأن تكون إيالة الشام وعكا وطرابلس وحلب وأدنة مع جزيرة كريت لمدة أربع سنوات.[1]

[1] – مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق وتقديم: أحمد غسان سبانو، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص 63.

2-حرب الشام الثانية 1834 _1839م:

2-1 أسباب تجدد الصراع العثماني المصري على الشام:

فقبل الحديث عن أسباب "حرب الشام"، يجدر بنا الإشارة إلى أن "محمد على" كانت رسالته هي إنقاذ الدولة العثمانية من خطر الخراب والسقوط، وبذل كل جهد من أجل إعادة بناءها، ومما لاشك فيه لم يكن صلح كوتاهية بين الطرفين سوى هدنة مسلحة قبلته الدولة العثمانية على كره، لذا كانت تعد العدة لنقض الصلح وينتظر الفرصة السانحة للاسترداد ما أخذه محمد على منها قسرا وكرها دون رضى واتفاق، وإنما أملاه السيف وفرضته آلة الحرب.[1] الأمر الذي أدى أيضا بمحمود الثاني إلى توقيع هذه الإتفاقية وهو مكره عن ذلك حيث لم يرى هذا الأخير إلا أنها حل مؤقت لكي يعيد بناء جيشه من جديد، بعد الهزيمة النكراء التي تلقتها جيوشه على يد إبراهيم باشا، فقرر أن يستعد لخوض معركة أخرى، هذه الحرب التي عرفت بحرث الشام.[2]

وقد كان من أسباب تجدد الصراع على بلاد الشام ما يلي:

- شروط اتفاقية كوتاهية التي أرغم الطرفان على عقدها، حيث أدت هذه الأخيرة إلى تأزم الوضع بين الوالي والسلطان.
- لم يسر حكم هذا الاتفاق طويلا فإن انكلترا التي كان يسوؤها استتاب السكينة والسلام في الشرق والتي اقتضت سياستها في كل أطوار المسألة الشرقية اضعاف سلطة المسلمين عملت على تحريض الدولة العلية على الأخذ بالثأر والانتقام من عزيز مصر. وفضلا عن اهتمام انكلترا بإضعاف السلطة الإسلامية في الاستانة ومصر فإنه كان يروق لها أن تأخذ المركز الأول في النفوذ لدى الباب العالى وتخفض من نفوذ الروسيا وسلطتها.[3]

---

[1] – إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص129.

[2] – ريمة صغايري، ليلى خلف الله، محمد علي باشا وتوسعاته في بلاد الشام (1839م –1805م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8 ماي 1945,قالمة، 2015م –2016م، ص71.

[3] – مصطفى كامل باشا، المسألة الشرقية، ج1,ط2، مطبعة اللواء، مصر، 1909، ص135.

- لم يكن السلطان محمود الثاني ليستطيع صبرا على هذا الذل، فما فتئ يدس إلى الدسائس في سوريا فيثير شعبها على الجيش المصري والإدارة المصرية، ولم يفتر لحظة، عن عادة النظام إلى جيشه وتعزيزه.[1]
- اعتماد إبراهيم باشا على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه، وقد كان هذا سببا ممهدا للفتن والحوادث، خصوصا أن الأغوات والمتنفذين الذين ساءهم حكم إبراهيم باشا وإصلاحاته، ومحاولة هذا الأخير القضاء على نفوذهم.[2]

تصاعد الأزمة من جديد بين الدولة العثمانية ومحمد علي:

أخبر جرانفيل حكومته في 23 يونيه/حزيران 1834م بقرار الحكومة العثمانية تعزيز قواتها العسكرية في آسيا الصغرى من أجل الحرب ضد محمد علي، مستغلة الانتفاضات والهبات الشعبية ضده، لذلك عبرت فرنسا عن اعتقادها بأن تأخر محمد علي في إرسال المخصصات المالية إلى الباب العالي وفق ماجاء في صلح كوتاهية، وقيام روسيا بتشجيع السلطان، هما سبب قيام الدولة العثمانية بإعداد جيوشها، لذلك أعلن دي ريني أنه سيسارع إلى حث محمد علي على الوفاء الفوري بتعهداته المالية من أجل تجنب أي ذريعة للنزاع.

ورغم ذلك بقي السلطان في حالة غليان مما حققه محمد علي باشا من مكاسب على الأرض، وكثيرا ما أفصح عن نواياه ورغبته في تجهيز الجيوش مرة أخرى من أجل محاربة محمد علي.[3]

[1] – إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص129.

[2] – مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، المصدر السابق، ص18.

[3] – يوسف حسين يوسف عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الأزمة وحتى معاهدة هونكار إسكله سي 1831–1833م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، العدد الثاني (المجلد الحادي عشر)، أغسطس 2017,ص66.

2-2 إشعال الثورة في الشام:

1- الثورة في فلسطين:

كانت القدس في أثناء الحكم المصري تتصل بالقاهرة بحرا عبر ميناء يافا. وبرا عبر صحراء سيناء. كخط موازورديف للخط البحري، للحيلولة دون انقطاعه من قبل الأساطيل العثمانية والأجنبية.

وفي عام 1834م انطلقت ثورة مدوية في القدس، وغيرها من المقاطعات الفلسطينية. على الحكم المصري، لأسباب عدة تتمثل فيما يأتي:

1. الضرائب الباهظة التي حاول إبراهيم باشا فرضها على السكان.
2. إلغاء الامتيازات التي تمتعت بها الزعامات المحلية في فلسطين إبان عهد الإقطاع.
3. إجبار السكان على تسليم الأسلحة غير المرخصة.
4. فرض التجنيد الإجباري على الشبان القادرين على الخدمة العسكرية.
5. فتح فلسطين بما فيها القدس للامتيازات الأجنبية.[1]

بمجرد صدور أوامر محمد علي أذاعها إبراهيم باشا بين القبائل واحتج الأهالي وطلبوا رفعها وحاول إبراهيم بشا التفاهم معهم ولم يصل إلى نتيجة، وظهرت بوادر الاضطراب في فلسطين[2] وبدأت الثورة على شواطئ نهر الأردن بالقرب من بيت المقدس في شهر أبريل سنة 1834.

قام إبراهيم باشا على رأس جيش كبير من ستة ألاف جندي وسار إلى يافا في شهر يونيو سنة 1834م وزحف على معقل العصاة من جماعة (أبي غوش) في قرية العنب

[1] – تيسير جبارة، أحمد رأفت غضية وآخرون، تاريخ القدس، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 2009، ص218.

[2] – تقع فلسطين في غرب قارة آسيا بين خطي عرض29,30° و33,50° شمالا وبين حطي طول 24,15°و 35,40°شرقي غرينيتش، وهي القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام. ويحد فلسطين من الشمال لبنان ومن الغرب يخدها البحر المتوسط ويحد فلسطين من جهة الشرق، سوريا والمملكة الأردنية الهاشمية، ويحدها من الجنوب جمهورية مصر العربية ووتبلغ مساحة فلسطين حوالي (27,900) كيلو متر مربع. (أنظر: رفيق شاكر النتشة، إسماعيل أحمد ياغي، عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991م، ص9.)

فحاصرها لثلاثة أيام لمنعتها وأخيرا دخل القرية وانهزم العصاة واحتل المصريون الطرق المفضية إلى بيت المقدس، وكذلك وقعت اضطرابات في طرابلس واشتبك الأهالي مع الحامية المصرية بها فاضطرت في النهاية للانسحاب إلى الميناء وقام إبراهيم باشا بمعاقبة مثيري الفتن هناك.

- نتائج ثورة فلسطين:

مع بداية القرن ال 19 عشر، انكشف ضعف الدولة العثمانية، فأضحت الامتيازات الأجنبية خطرا يهدد الدولة، وخاصة أثناء حكم محمد علي باشا للشام (1831م-1841م)، حيث منع محمد علي التمييز ضد المسيحيين واليهود في محاولة منه لكسب ود الأوروبيين، وأفسح المجال للمؤسسات الأجنبية والتبشيرية للعمل على أرض فلسطين بكل أريحية.

وفي ظل الامتيازات الأجنبية، تم افتتاح العديد من القنصليات الأجنبية، وكانت القنصلية البريطانية أولها في القدس سنة 1838م، الأمر الذي شكل سابقة في العرف القائم آنذاك، إذ كانت القنصليات تقام في المدن الساحلية، وتعنى بالشؤون التجارية فقط، في حين أن القنصليات التي أنشئت في القدس أثناء الحكم المصري، كانت تلعب دورا سياسيا، بل وراح قناصلها يتدخلون في كل شاردة وواردة من شؤون الحكم في البلاد.

والجدير بالذكر أن القنصلية البريطانية وجهت كل أنشطتها لحماية اليهودية.

أسهم الحكم المصري أيضا، في جعل السبيل مفتوحا أمام أوروبا لاختراق الأراضي الفلسطينية التابعة للإمبراطورية العثمانية من الناحية التجارية.[1]

2- ثورة النصيرية 1834:

في أكتوبر سنة 1834م نشبت الثورة في النصيرية شرق اللاذقية وهاجم ثوار اللاذقية وانتصر الجيش المصري على الثوار هناك وثم نزع السلاح من أيديهم وجند منهم إبراهيم باشا[2]،

[1] -إسلام شحدة العالول، محطات فاصلة في تاريخ فلسطين القديم والحديث، تق: نهاد الشيخ خليل، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص ص 51-52.

[2] - محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص192.

ولما سمعت الدولة العثمانية بهذه الثورة سرها الأمر كثيرا ورأت أن تغتنم الفرصة، حيث كان الباعث الحقيقي لقيام هذه الثورة هو تحريض المشايخ في كل مجتمع ونادي، بحيث كانت الدولة التركية خبيرة بأحوال الشعب أكثر من الدولة المصرية، فبعثت تدس الدسائس إلى المشايخ، وتغريهم بالمواعيد الفاحشة، وكام هؤلاء يحضون الشعب على شق عصا الطاعة طمعا بإرجاع نفوذهم[1]، ... بعد أن استتب الأمن صار نزع السلاح من الدروز بدءا من سنة 1835م وهذه العملية أثارت الدروز.

3- ثورة الحوران 1837:

تضامن دروز الحوران مع باقي الدروز وقاوموا عملية التجنيد ونزع السلاح فتمردوا وقامت ثور خطيرة في حوران في نوفمبر سنة 1837م وعانى منها الحكم المصري في سوريا بعدما أرسل إبراهيم باشا حملة لإخمادها.[2]

قرر إبراهيم باشا محاصرة المنطقة من كل النواحي وإماتة الدروز عطشا، لكن هذه الخطة لم تنجح، لأن صفوف الدروز الحقيقية، المتخفية بثياب القتلى المصريين، كانوا يمشون صفا واحدا، ويستولون على حاجيات الجيش المصري، لجأ إبراهيم باشا إلى طريقة ثانية: في إحدى غاراته داخل المنطقة الخطرة أغرق بينبوع اللجا الوحيد بالحجارة وتفجيرات البارود، إلى جانب أنه ألقى جرار من السم القاتل في المياه.

بهذه الطريقة وصل إبراهيم إلى مبتغاه، وقف تمرد الدروز، انتهت بهذا إراقة الدماء، وخضع الدروز، إلا أن إبراهيم، قد علمته هذه التجربة كم هي خطرة التدابير القاسية ضد الجبلين.[3]

[1] -سهيل زكار، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، الدراسات والترجمة للنشر، دمشق، 2006، ص 177.

[2] - محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ص192-193-194.

[3] - بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسة والتاريخية، تر: يسر جابر، مراجعة: مندرجابر، دار الحداثة، بيروت، (د.ت)، ص ص 191-192.

4- معركة نصيبين1839 م:

استمر اشتعال نيران الثورات في قلب الشام، وفي أماكن مختلفة منها، منذ معاهدة كوتاهية- الهدنة المسلحة -، ورغم أن سياسة محمد علي التي انتهجها مع أهل الشام كانت من أهم الدوافع لاشتعال هذه الثورات، إلا أن أيدي الإنجليز كانت وراء هذه الثورات تحكيما ضد حكومة الباشا، لتقتلعه من المنطقة بأسرها، وتحقق أهدافها.[1]

كانت الدولة العثمانية لا تفتأ منذ دخول قوات محمد علي الشام على استشارة أهل الشام، واستمالة رؤساء العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان فيها إلى جانبها في سبيل إخراج محمد علي من الشام.

رغب محمد علي بتشجيع من فرنسا وبمساعدة من سفيرها في الاستانة التوصل إلى اتفاق مرض مع السلطان العثماني يتم بموجبه إعطاء ولايتي مصر وبلاد العرب لمحمد علي باشا إرثا له ولأولاده من بعده، وبلاد الشام إلى جبال طوروس له مدة حياته ويبدوا أن هذا الصلح لم يكتب له النجاح.

ولعل بريطانيا التي كانت تبذل جهودا مكثفة ضد الإدارة المصرية في الشام، كانت أحرص على نشوب حرب جديدة بين الباشا والسلطان [2]، ففي 1839- 24 يونيه - حرضت انكلترا السلطان محمود على قتال محمد على باشا فقاتله بجيوشه في (نصيبين).[3]

لقد كان إعلان محمد على رغبته في الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية غير مقبول من السلطان العثماني، والدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا، ومن ثم أخذ كل طرف من ناحيته الاستعداد لخوض حرب عسكرية.

احتشد الجيش العثماني والجيش المصري استعداد لخوض المعركة التي يعتزم كل منهما الفوز بها،.... وبعد عدة مناوشات ومناورات متفرقة بين الجيشين التقيا في معركة حاسمة

[1] - رزق الله منقريوش الصدفي، تاريخ دول الإسلام، ج3، (د.ن)، مصر، 1908، ص 220.

[2] - عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 375-367-377-382-385.

[3] - صالح جودت، مصر في القرن التاسع عشر، (د.ن)، القاهرة، 1904م، ص19.

بالقرب من قرية نصيبين والتي عرفت المعركة باسمها، وذلك في الحادي عشر من ربيع الثاني سنة 1255هـ الموافق الرابع والعشرين يونيو سنة 1839م، حسم الجيش المصري المعركة لصالحه، لينتصر في هذه المعركة ويكبد الجيش العثماني خسائر كبيرة، وكانت نتائج معركة نصيبين كالتالي: –

– انضمام الأسطول العثماني إلى محمد علي، ووفاة السلطان العثماني محمود الثاني، ليتولى الخلافة من بعده ابنه عبد المجيد.[1]

3– انجلترا والحل الدولي – معاهدة لندن 1840:

أدت المنافسة الاقتصادية إلى تعجيل الصدام بين محمد علي وإنجلترا، حيث أصبحت السوق السورية مجالا للتنافس بين المنتجات الإنجليزية والمصرية، لهذا عندما قام الباشا عام 1834م بإقرار سياسة الاحتكار الحكومي لتجارة الحرير في سوريا، تدخلت إنجلترا من خلال سفيرها في القسطنطينية وقنصلها في مصر لإلغاء هذا الاحتكار عام 1838م (اتفاقية بالطه ليمان) ولقد طلبت إنجلترا من الباشا تشيد طريق من أنطاكية إلى الفرات، وطلب من السلطان العثماني السماح بتكوين شركة إنجليزية للملاحة على هذا النهر، لكن محمد على رفض هذا الطلب.[2]

وفي مايو سنة 1839، كانت الآمال معقودة في استمرار «الحالة الراهنة" بين السلطان ومصر، وقد عمدت إنجلترا إلى مضاعفة قواتها في بحار الشرق، بينما أخذت تجمعات الجنود في روسيا تحشد، وتحركاتها تنظم.

وفي الخامس والعشرين من مايو، ذاع الخبر في صحف الغرب كلمح البصر وخطفة البرق، ينبئ باستئناف القتال بي الجيش التركي والجيش المصري.

ثم جاء كتاب أرتين بك، فبدد بعض المخاوف، مؤكدا أن الجيش العثماني هو الذي تقع عليه تبعة الاعتداء، باجتيازه الفرات....، وما كاد السلطان يتحقق من قوة استعداده، حتى

[1] – عايض خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 375–367–377–382–385.

[2] – إسماعيل سراج الدين، المرجع السابق، ص43.

أصدر أمره إلى حافظ باشا بدخول الشام. وبدأ تحرك الجيش في الثالث عشر من أبريل، فوصل الفرات في الحادي والعشرين وعندئذ أخذت جنود إبراهيم تتقدم، مركزة قواتها حول حلب. ثم التقى الجيشان في الرابع والعشرين في سهول نزيب، حيث وقعت معركة حامية الوطيس، تقاربت فيها الفئتان، وتدانى الفريقان، واختلط الحابل بالنابل وانتهت بتدمير الجيش التركي، وإبادته عن بكرة أبيه.[1]

طموح محمد علي في الاستقلال حكم مصر ومد رقعة ولايته إلى الحجاز وبلاد الشام دفعاه إلى الاصطدام مبكرا بالتحالف الغربي، .... وهو الصدام الذي انتهى بتوقيع معاهدة لندن عام 1840م.[2]

وفي معاهدة لندن التي أبرمت في الخامس عشر من شهر يوليو–تموز– سنة 1840 بين الدولة العثمانية وبريطانيا والروسيا وبروسيا والنمسا لتسوية المسألة المصرية وإنهاء النزاع بين السلطان ومحمد على– وقد انضمت فرنسا إلى هذه المعاهدة في الخامس عشر من شهر مارس–آذار–سنة 1841 فأصبحت معاهدة جماعية سداسية....

وجاء في هذه المعاهدة أنه إذا أقدم محمد على والى مصر على توجيه قواته البرية والبحرية للزحف على إستانبول، فإن الدول الأطراف في المعاهدة توافق– بناء على الطلب الصريح الذي يصدر عن السلطان– على الاستجابة لطلبه وتتخذ الإجراءات لحماية عرشه عن طريق التعاون الذي يتم بموافقتها مشتركة من الدول الموقعة على المعاهدة، وبذلك تصبح المضايق وكذلك باقي الأراضي العثمانية في مأمن من كل اعتداء. كما تقرر أن تظل قوات الدول المتعاقدة مرابطة في مواقعها طالما كان وجودها أمرا يطلبه السلطان العثماني.[3]

[1] –رينيه قطاوي بك، جورج قطاوي، محمد على وأوروبا، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص ص132–133.

[2] – إسماعيل سراج الدين، المرجع السابق، ص43.

[3] – عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص221.

كذلك حصل محمد علي بموجبها على حكم مصر وراثيا ولمن يأتي بعده من أسرته من الذكور وتبقى معه فقط طوال فترة حياته، عكا في الجزء الجنوبي من سوريا (فلسطين) وإخلاء جزيرة كريت والحجاز وأدنة مع إعادة الأسطول العثماني، وإذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشر أيام يحرك من حكم ولاية عكا (فلسطين) فإذا استمر رفضه مدة عشرة أيام أخرى يصبح السلطان في حل من حرمانه ولاية مصر كما يدفع محمد علي جزية سنوية للسلطان، كما يلتزم محمد علي بتطبيق كافة المعاهدات التي أبرمتها الإمبراطورية العثمانية مع الدول الأوروبية، على أن تعد قوات محمد علي البرية والبحرية جزءا من قوات الإمبراطورية العثمانية وتكون في خدمة السلطان، في حالة رفض محمد علي هذه الشروط يلجأ الحلفاء الموقعون على هذه المعاهدة إلى استخدام القوة ضده مع التزامهم بحماية عرش السلطان العثماني رفض محمد علي المعاهدة وتأهب للحرب واستعدت الدول الأوروبية المتحالفة لحصاره وفي الوقت نفسه قام أهالي سوريا بثورة ضده، وانتهى الأمر بقبول محمد علي شروط معاهدة لندن.[1]

نهاية محمد على:

كانت السنوات الباقية من عمر محمد على مريرة، فآثار الحرب وآثار الجهد، وهبوط النيل، كل ذلك خيم على الشعب، بل أثر في أعصاب محمد على فاضطربت صحته واعتزل في أبريل سنة 1848 ثم مات في أغسطس سنة 1849.[2]

سبب الوفاة:

وتفسر بعض المصادر جنون محمد علي بتناوله جرعات نترات الفضة أعطاها له أطباء أوروبيون لعلاجه من الدوسنتاريا... بينما فسر آخرون جنونه بتناوله دواء لتقوية ألباه كان يتعاطاه بعدما أهدته ابنته جارية جديدة.[3]

[1] – جي فارجيت، المرجع السابق، ص ص 176–177.

[2]– أحمد شلبى، المصدر السابق، ص 408.

[3] – عصام عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 24.

خلاصة (حوصلة):

عندما نلقي نظرة جادة على الأحداث التاريخية التي صاحبت حملة محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية والأحداث التي أعقبت تلك الحملة مرورا بحروب اليونان، وحربي الشام الأولى والثانية وما تمخض عن ذلك من نتائج يجدر بنا أن نتوقف عند عنصر من عناصر تلك الأحداث، والمتمثل في علاقة محمد على باشا والي مصر بالسلطان العثماني محمود الثاني

فعلى الرغم من خضوع محمد علي باشا للسلطان العثماني واستعداده لتنفيذ أوامره وتوجيهاته، إلا أنه كان مدركا لأهدافه وخططه التوسعية، بدليل أنه أثناء تكليفه بحملاته العسكرية الموجهة للدولة السعودية الأولى كان ينطلق من أهدافه هو لا من أهداف الدولة العثمانية فتراه يراود السلطان العثماني على عزل والي الشام ويطلب إسنادها إلى صديق له.

أطماع محمد علي وزيادة طموحه في الاستيلاء على الأراضي العثمانية أدت إلى تمرده على الدولة العثمانية ومطالبته للانفصال عنها.

هذا هو ملخص مشوار محمد علي في حكم مصر منذ أن نزل إليها...حتى وافته المنية.

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد فإننا نرى أن محمد على يعد واحداً من أعظم القيادات التي حكمت مصر في فترة من فترات تاريخها الطويل، ولمصر أن تفخر بحكمه، فقد انتشلها من القهر والتخلف واستطاع أن يقف بها جنباً إلى جنب مساوياً ومتفوقاً أحياناً أخرى على أعتى القوى العالمية ومطاولا لها، وجعل منها حصنا منيعاً يهابه الغزاة والطامعون من أوربا.

ومهما قيل عن الأسباب والدوافع التي دفعت محمد على إلى تحقيق ذلك، فإن العبرة دائما بالنتائج التي تعتبر هي المحصلة النهائية للحكم على القيادة، وهو حقق لمصر ما لم يحققه لها غيره من نتائج، فأرض مصر تشهد له وشعبها مدين له. فقد نؤكد على أن محمد على يجب أن يدرس ويحلل بمفهوم ومنطق عصره يجب أن يحكم عليه من خلال معطيات وظواهر ومبادئ ذلك العصر الذي عاشه وتعايش معه، وهنا سوف تظهر جلياً عظمة الرجل ونضع أيدينا على سر هذه العظمة التي حبا الله بها هذا القائد.

وحتى لو شكلت محكمة للحكم عليه بمفاهيم ومنطق العصور الحديثة، فإنها لا يسعها إلا أن تنحني لإنجازاته احتراماً وإعزازاً ولشخصه تقديراً وإجلالاً مع تولي "محمد علي"، كرسي الولاية في مصر بداية من 13ماي 1805م وهذا تلبية لرغبة زعماء الشعب الذين كانوا يساندونه ويؤيدونه في السنوات الأولى من حكمه، حاول جاهدا تحقيق الأمن وفرض نفوذه في مصر؛ من خلال تمكنه من القضاء على الحملة الانجليزية عام 1807م بقيادة فريزر، وعمل على كسب رضا الباب العالي، حيث بدأ أولا بالتخلص من العراقيل التي تقف في وجهه في الداخل من خلال قضاءه على الزعامة الشعبية بقيادة عمر مكرم التي كانت وراء وصوله للحكم، والقضاء على المماليك الذين كانوا مدعومين من طرف الانجليز والذين حاولوا بكل الطرق دفع المماليك لاسترجاع سلطتهم على مصر حيث طالما أيدوا ودفعوا بمحمد بك الألفي لتولي حكم مصر.

ونلاحظ أنه وبعد أن ثبت محمد علي قدمه في حكم مصر وبدأت الأوضاع الداخلية تتغير لصالحه تطلع للخارج من خلال توليه مهمة القضاء على الحركة الوهابية بطلب من

الباب العالي خاض محمد علي في بداية فترة حكمه حربًا داخلية ضد المماليك (الذين قضى عليهم في مذبحة القلعة) والإنجليز إلى أن خضعت له مصر بالكليّة، ثم خاض حروبًا بالوكالة عن الدولة العثمانية في جزيرة العرب ضد الوهابيين وضد الثوار اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني في المورة، كما وسع دولته جنوبًا بضمه للسودان. حيث محمد على القوة الاقتصادية و العسكرية أولا وآخرا في خدمة توسعاته الخارجية فاستولى على الجزيرة العربية و بلاد المورة وهنا كانت العلاقة العثمانية المصرية في حالة وفاق إلى أن اصطدم مع الدول الأوروبية في نافارين 1827م ثم توسع في الشام على حساب الدولة العثمانية، حيث كان محمد علي يطمح في حكم الشام منذ عام 1811م و ذلك عندما وافق على قيادة الحملة ضد الوهابيين ، والتمس من الباب العالي حكمها عام 1811م وكرر ذلك مرة أخرى عام 1818 بعد هزيمة الوهابيين، غير أن العثمانيين رفضوا طلبه المرتين إذ لم يريدوا أن تزيد قوته لدرجة تجعله لا يخدم أهدافهم ، وبعد ذلك تحول لمهاجمة الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول(حربي الشام الأولى و الثانية1831م- 1839م)، وكاد يسقط بالدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية لاسيما إنجلترا التي أوقفت محمد علي وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها وذلك في معاهدة لندن 1840م ، التي أحبطت مطامح محمد علي وفرضت عليه شروط قاسية وضعت حدا لإصلاحاته الاقتصادية والعسكرية والعلمية، كما وضعت حدا لتوسعاته الخارجية، وانتهى الأمر بقبول محمد علي شروط معاهدة لندن، وذلك بعد صراعات طويلة...

خلال فترة حكم محمد علي، استطاع أن ينهض بمصر عسكريًا وتعليميًا وصناعيًا وزراعيًا وتجاريًا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم فيما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في 18 يونيو سنة 1953 م، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر.

إن حركات محمد علي باشا وعصيانه وتمرده قد ساهمت بإضعاف الخلافة الإسلامية العثمانية، وتقوية أعدائها من روس وأوروبيين وباطنيين وصهاينة، وهكذا يعتبر من أخطر

أعدائها، وأعداء العرب والمسلمين، حيث أن عصيانه قد مهد الطريق أمام الاحتلال الإنكليزي لمصر سنة 1882م، والاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، ولتونس سنة 1881م، والاحتلال الروسي للأفلاق والبغدان "رومانيا" سنة 1848م، ونشر التغريب في مصر، وأضعف التعريب، وأتاحت أسرة محمد علي المجال لعودة التشيع إلى مصر، وسمحت بدراسة التشيع في الجامع الأزهر.

إن تقييم تجربة محمد علي العسكرية والحربية لا يمكن كتابتها في بحث واحد، ولكنني قمت بعرض بعض من ملامح تاريخ محمد علي في مصر، فهي نبذة مختصرة عنه في النهاية لا تساوي مقدار تاريخ هذا الرجل.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم01: المماليك والصفويون والدولة العثمانية. [1]

[1] – شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2005، ص 110.

الملحق رقم02: الحملة الفرنسية على مصر وسوريا.[1]

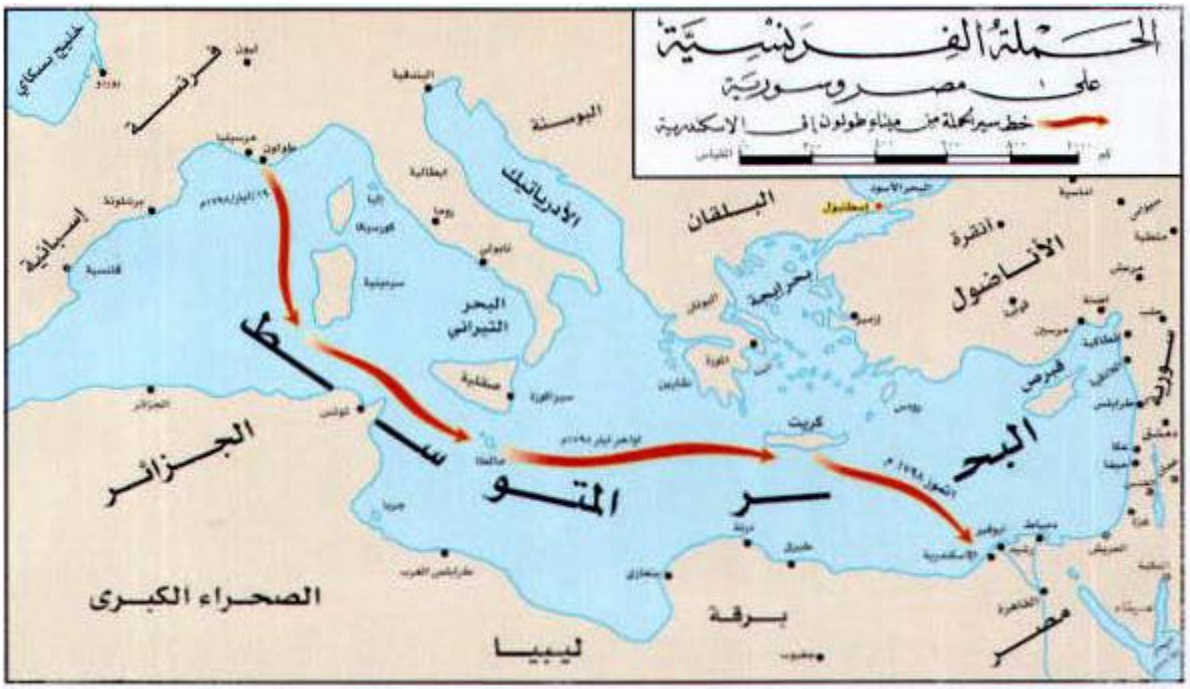

[1] – نفسه، ص 120.

الملحق رقم 03: صورة محمد علي باشا.[1]

[1] – إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص 07.

الملحق رقم 04: خريطة الحرب الوهابية.[1]

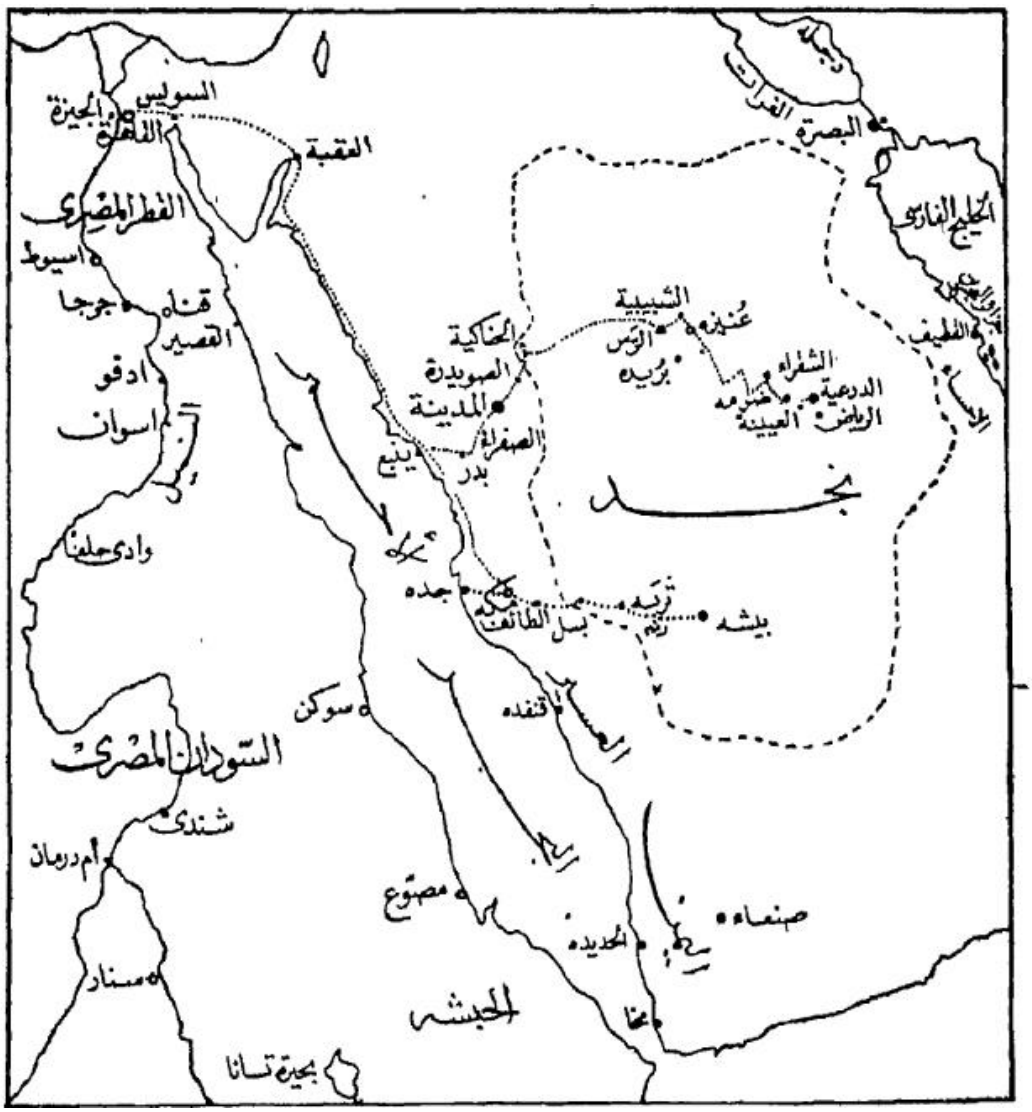

[1] – عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص145.

الملحق رقم 05: إبراهيم باشا.[1]

إبراهيم باشا 1848-1848م

[1] – سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ الحديث، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، حلب، 2012، ص115.

الملحق رقم 06: محمد علي وحملاته التوسعية.[1]

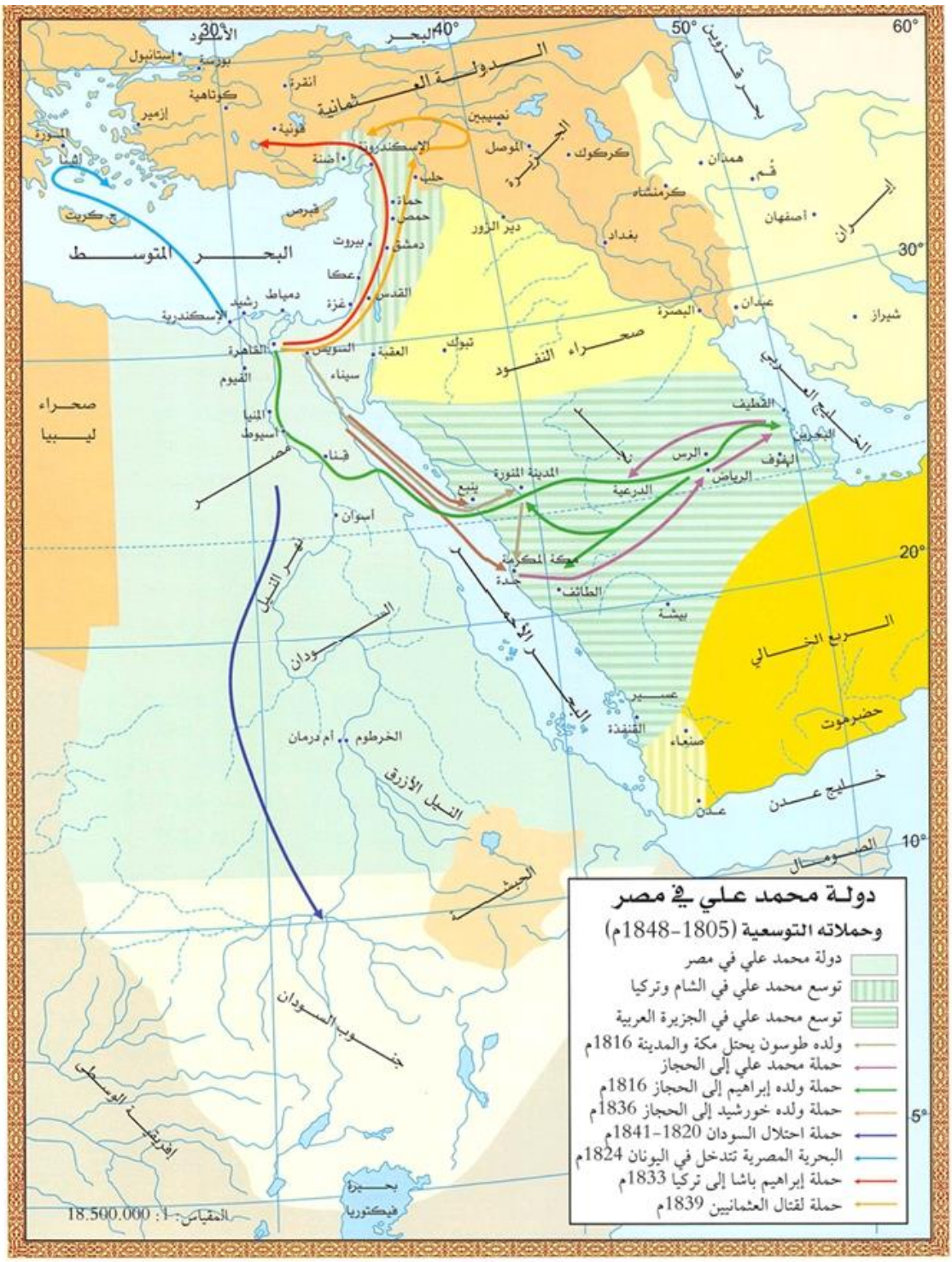

[1] – نفسه، ص 114.

الملحق رقم 07: خريطة السودان في عهد محمد علي.[1]

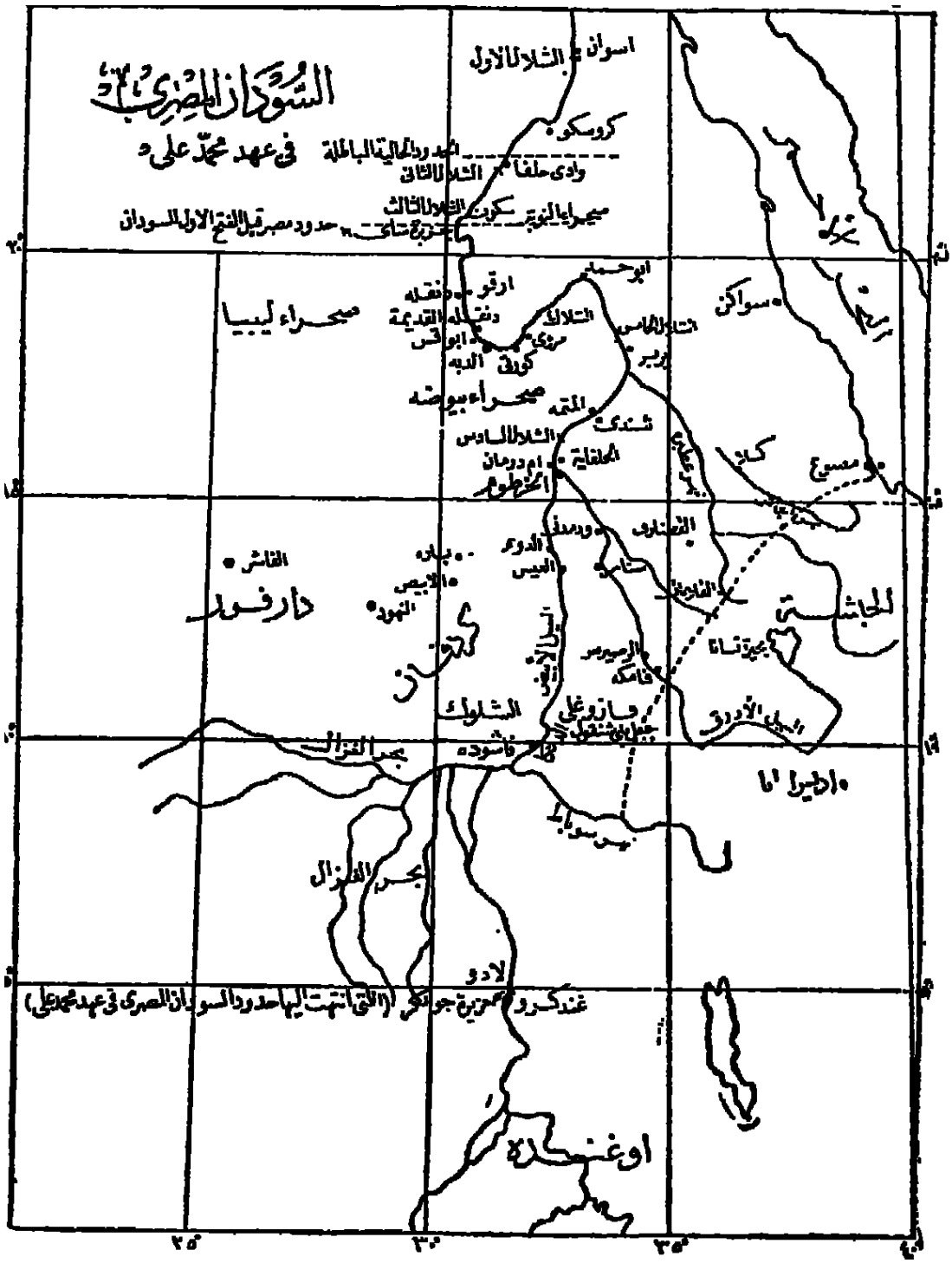

خريطة السودان فى عهد محمد على

[1] – المستر جورج يانج، تعريب: علي أحمد شكري، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، مكتبة المدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص163.

الملحق رقم 08: خريطة شبه جزيرة البلقان والمورة.[1]

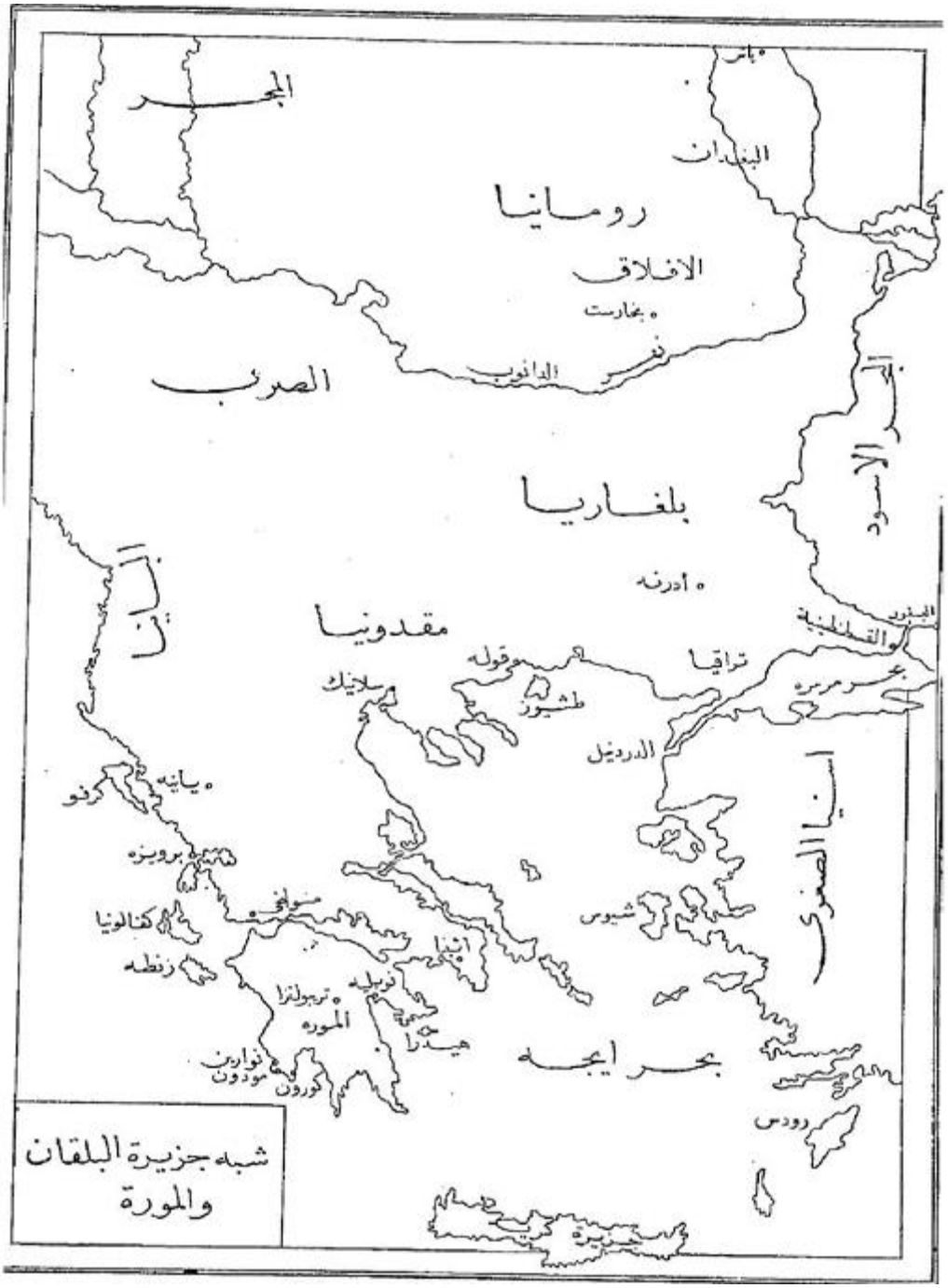

[1] – محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (1798–1849)، ج1، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1934م,ص 164.

الملحق رقم 09: الثورة اليونانية وحملة إبراهيم باشا .[1]

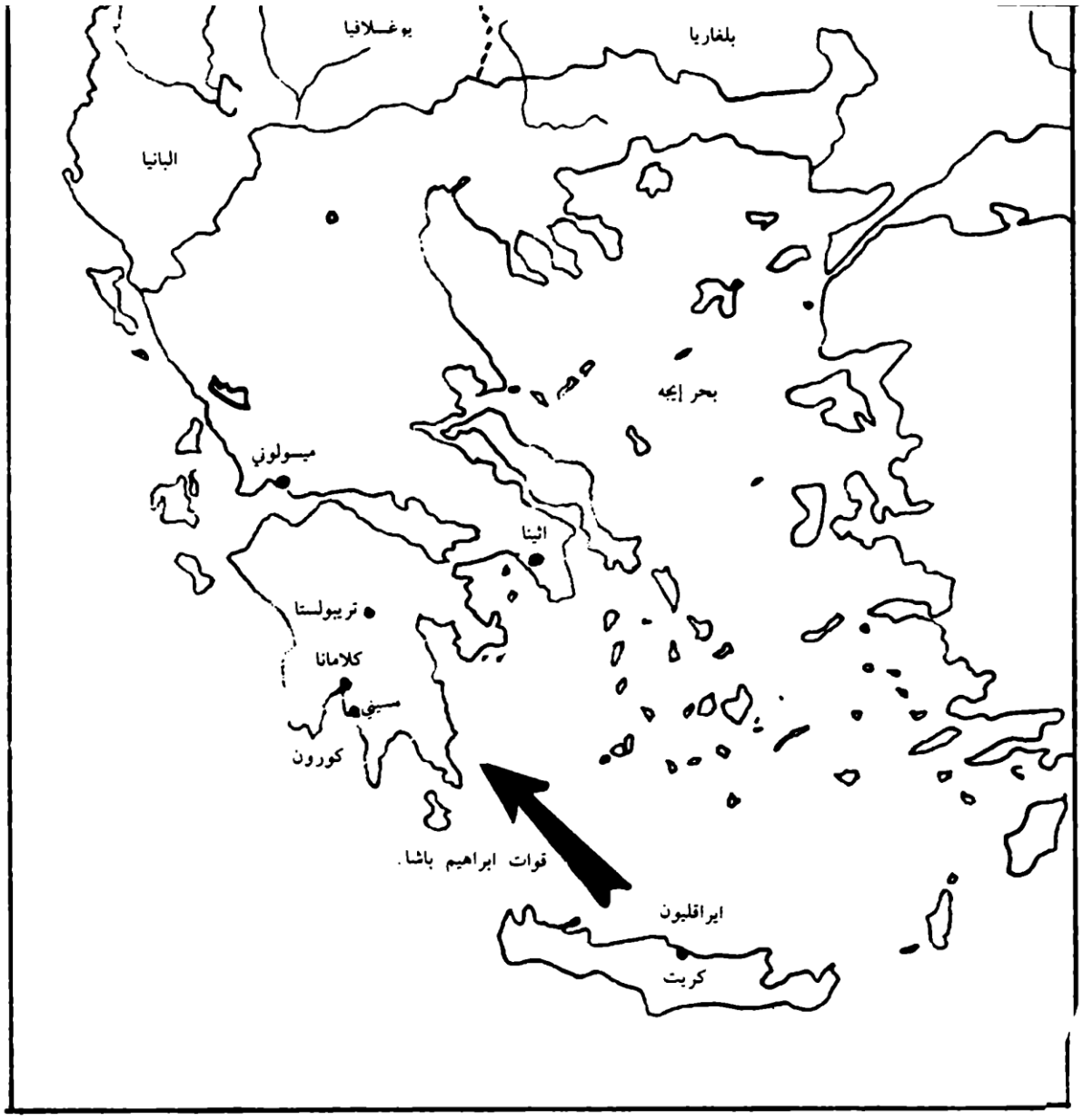

الثورة اليونانية وحملة ابراهيم باشا.

[1] – علي حسون، المرجع السابق، ص 201.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

أ- كتب باللغة العربية:

1- الجبرتي عبد الرحمان بن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمن، ج 4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م.

2- الأرمني إسكندر يعقوب أغا أبكاريوس، تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية، تح: أحمد عبد المنعم العدوي، مراجعة: رؤوف عباس، مركز الدراسات الأرمينية، القاهرة، 2009.

3- الرافعي عبد الرحمن، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، (د.م)،1989م.

4- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي أبي العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) 1998م.

5- أمين سامي باشا، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م.

6- **أمين سامي باشا**، تقويم النيل، ج1، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1916م.

7- باشا مصطفى كامل، المسألة الشرقية، ج1، ط2، مطبعة اللواء، مصر، 1909م.

8- جاماني حبيب، إبراهيم في الميدان، إدارة الهلال، مصر، 1934م.

9- حليم إبراهيم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

10- شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986م.

11- عزتلو يوسف بك، تاريخ السلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم، محمد عزب، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

12- زقلمة أنور، ثورة على بك الكبير 1768م، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م)، 1952.

13- زكار سهيل، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، الدراسات والترجمة للنشر، دمشق، 2006م.

14- فريد بك محمد، تاريخ الدولة العليه العثمانية، تح: احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

15- **فريد بك محمد**، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، (د.ن)، (د، م)، 1896م.

16- **فريد بك محمد**، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2، منشورات دار النفائس، بيروت، 1983.

17- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي، بيروت، 1985م.

18- مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق وتقديم:أحمد غسان سبانو، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

ب- كتب مترجمة:

19- اللورد كرومر، مصر الحديثة، الجزء 2، ترجمة: صبري محمد محسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015م.

20- بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسة والتاريخية، تر: يسر جابر، مراجعة: منذر جابر، دار الحداثة، بيروت، (د.ت).

21- شميت آرثر جولد، قاموس تراجم مصر الحديثة، تر وتح: عبد الوهاب بكر، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، 2003.

ت- أطالس:

22- أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2005م.

23- الكاتب سيف الدين، أطلس التاريخ الحديث، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، حلب، 2012م.

2- المراجع:

أ- كتب باللغة العربية:

24- ابراهيم عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1997م.

25- أبو الروس أيمن، نابليون بونابارت، مطابع العبور الحديثة، القاهرة، 2013.

26- أبو الفضل محمد عبد الفتاح، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، (د.م)، 1999م.

27- اسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عصر محمد علي، اعداد وتحرير: يونان رزق، محسن، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007.

28- الإسكندري عمر، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى قبيل الوقت الحاضر)، ط 2، مراجعة: الكبتن .ا. ج. سفدج، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

29- الأنصاري ناصر، المجمل في تاريخ مصر (النظم السياسية والإدارية)، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1993.

30- الأيوبي إلياس، محمد على سيرته وأعماله وآثاره، ادارة الهلال، مصر، 1923م.

31- البدر تامر، أيام لا تنسى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011م.

32- البدري محمد عبد الستار، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 2001م.

33- الدسوقي محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، منشورات دار الثقافة للطباعة النشر، القاهرة، 1976م.

34- الديب عبد العظيم، جنوب السودان وصناعة التآمر ضد ديار المسلمين، الدار السلفية، (د.م)، (د.ت).

35- الروقي عايض بن خزام، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1831-1839، (د.ن)، (د.م)، 1414 هـ.

36- السروجي محمد محمود، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، (د، ن)، الاسكندرية، 1997.

37- السعيد أحمد خيري، الدسائس والدماء (على بك الكبير"حياته وعصره ")، مطبعة الهلال، (د.م)، 1953.

38- السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة التوكل بالجمامين، (د.م)، (د. ت).

39- **السيد محمد السيد**، مصر في العصر العثماني في القرن 16، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1997 م.

40- الشلق أحمد زكرياء، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 - 1916، مصر العربية، القاهرة، 2002م.

41- الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

42- الصدفي رزق الله منقريوش، تاريخ دول الإسلام، ج3، (د.ن)، مصر، 1908م.

43- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م.

44- **الصلابي علي محمد محمد**، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 2009م.

45- الطاهر الفحل الفكي، تاريخ وأصول العرب بالسودان، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

46- العالول إسلام شحدة، محطات فاصلة في تاريخ فلسطين القديم والحديث، تق: نهاد الشيخ خليل، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

47- العشماوي محمد سعيد، مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، 1999.

48- العيني البدر، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، تحقيق: إيمان عمر شكري، ط1، مكتبة مدبولي، 2002 م

49- الغنام سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا (1811-1840)، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004م.

50- الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج6، (د، ن)، (د، م).

51- النتشة رفيق شاكر، إسماعيل أحمد ياغي، عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991م.

52- النهار عمار، العصر المفترى عليه عصر المماليك البحرية، ط1، دار النهضة، دمشق، 2007.

53- أمير محمد، أيام المماليك "حكايات المذابح والعرش من الصعلكة إلى كرسي الحكم"، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

54- أوغلي أكمل الدين إحسان، الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي، ج2، دار الشروق، (د، م)، (د، ت).

55- باشا مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.

56- بدوي جمال، محمد علي وأولاده بمصر الحديثة، مكتبة الأسرة، (د. م)، 1999 م.

57- بن علي ياسين، خروج الوهابية على الخلافة العثمانية، (د.ن)، (د.م)، 2014م.

58- جبارة تيسير، أحمد رأفت غضية وآخرون، تاريخ القدس، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 2009.

59- **جبارة تيسير**، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924م)، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2015م.

60- جوان ادوار، مصر في القرن التاسع عشر، تر: محمد مسعود، (د.ن)، القاهرة، 1921م.

61- جودت صالح، مصر في القرن التاسع عشر، (د.ن)، القاهرة، 1904م.

62- حسنين ابراهيم، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014م.

63- حسون علي، العثمانيون والبلقان، ط2، (د.ن)، بيروت، 1986م.

64- حسين عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

65- حميدي جعفر عباس، نوري عبد الحميد خليل، اسامة عبد الرحمن الدوري(وآخرون)، تاريخ البلاد العربية الحديث والمعاصر، ط3، (د.ن)، العراق، 2017م.

66- خوري إميل، عادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789إلى سنة 1958، ج2، (د، ن)، بيروت، 1960م.

67- دحلان أحمد بن زيني، فتنة الوهابية، (د.ن)، (د.م)، 1978م.

68- دودويل هنرى، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد على مؤسس مصر الحديثة، تعريب: أحمد محمد عبد الخالق بك؛ على أحمد شكرى، تقديم: محمد عفيفى، المركز القومي للترجمة، مصر، 2007 م.

69- رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة (1798-1849)، ج1، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، 1934م.

70- زغلول أحمد فتحى، المحاماة، مطبعة المعارف، القاهرة، 1900م.

71- سالم لطيفة محمد، الحكم المصري في الشام 1831 – 1841م، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م.

72- شاكر محمود، السودان، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت).

73- شكري محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وظهور محمد على، مطبعة المعارف، مصر، (د.ت).

74- **شكري محمد فؤاد**، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801-1811م، ج1، مؤسسة هنداوي، (د.م)، 2020م.

75- شوفاني إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996م.

76- شوقي أحمد، علي بك الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

77- صبري محمد، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1962.

78- عبد الفتاح عصام، محمد علي أيام عبقرية الإرادة...وصناعة التاريخ، الشريف ماس للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ت).

79- عبيد جميل، قصة احتلال محمد علي لليونان 1824- 1827، (د.ن)، (د.م)، 1990م.

80- عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517 -1952)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

81- غربال محمد شفيق، محمد علي الكبير، دار الهلال، القاهرة، 1986م.

82- فريد بك محمد، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية، (د.م)، (د.ت).

83- قطاوي بك رينيه، جورج قطاوي، محمد على وأوروبا، دار المعارف، مصر، (د.ت).

84- قطب محمد، واقعنا المعاصر، ط 2، مؤسسة المدينة المنورة، (د.م)، 1988.

85- كفافى حسين، محمد على رؤية لحادثة القلعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، م)، 1992.

86- مؤلف مجهول، الوهابية في صورتها الحقيقية، ط1، مركز الغدير للدراسات الأسلمية، (د.م)، 1994م.

87- مصطفى نادية محمود، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، ج11، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م.

88- مورو محمد، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى ثورة 1956 (1798 – 1956)، (د.ر)، (د.م)، (د.ت).

89- نخبة من الأساتذة، تقديم ومراجعة: يونان لبيب رزق، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009م.

90- نوار عبد العزيز، تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.

91- هريدي صلاح أحمد علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1882، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1999.

92- ياغي اسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

93- يانج جورج، تعريب: علي أحمد شكري، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، مكتبة المدبولي، القاهرة، (د.ت).

94- يحي جلال، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965م.

ب- كتب مترجمة:

95- أنينل ألكسندروفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.

96- - السوربونى محمد صبري، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والسألة الشرقية (1811-1849)، ج1، تر: ناجى رمضان عطية، مر وتق: أحمد زكرياء الشلق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م.

97- روجان يوجين، العرب من الفتوحات إلى الحاضر، تر: محمد إبراهيم الجندي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011م.

98- شاهين ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، تر: محمد حرب، دار المنارة، جدة، 1997م.

99- صبري أيوب، تاريخ الوهابيين، تر: مسعد بن سويلم الشامان، دار ترجمان، 1296 هـ، إسطنبول، (د.ت).

100- فارجيت جي، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، تر: محمد رفعت عواد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م.

101- فهمي خالد، كل رجال الباشا محمد على وجيشه وبناء مصر الحديثة، تر: - شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، 2001م.

102- كي ليسترنج، بلدان الخلافة الإسلامية، تر: بشير فرنسيس توكوركيس غورا، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

103- مؤلف مجهول، الإسهامات الإيطالية في دراسة مصر في عصر محمد على باشا، تر: عماد البغدادي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، 2005.

المقالات العلمية:

104- يوسف حسين يوسف عمر، الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الأزمة وحتى معاهدة هونكار إسكله سي 1831-1833م، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، العدد الثاني (المجلد الحادي عشر)، أغسطس 2017م.

الرسائل الجامعية:

105- صغايري ريمة، ليلى خلف الله، محمد علي باشا وتوسعاته في بلاد الشام (1839م - 1805م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2015م -2016م.

106- عابد حياة، الزهرة توايت، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني (886-918 هـ/1481-1512م)، مذكرة لنيل ماسترفي التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016-2017م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: .....أ

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن العهد المملوكي

1-دخول العثمانيين إلى مصر والقيام بفتحها 1517 5

2- دخول العثمانيين إلى مصر والقيام بفتحها 1517: 8

الفصل الأول: أوضاع مصر قبيل مجيء محمد علي باشا للسلطة 1805

1 -نفوذ الأمراء المماليك في مصر العثمانية. 12

2ـ حملة نابليون بونابارت 1798م. 12

1- نفوذ الأمراء المماليك في مصر العثمانية: 13

1-1-عودة النفوذ إلى المماليك: 13

1-2-بكوات المماليك: 13

2-حملة نابليون بونابرت 1798: 17

خلاصة: 22

الفصل الثاني: أوضاع مصر في فترة حكم محمد علي باشا

1 – التعريف بشخصية محمد علي باشا: 24

2- توطيد سلطة محمد علي: 26

3 – القضاء على المماليك: 30

خلاصة: 33

الفصل الثالث: العلاقة العثمانية المصرية في حالة الوفاق

1-الحروب الوهابية في بلاد العرب 1811 – 1819 م: 35

1-1 الوهابيون ومذهبهم : 35

1-2 محاربة محمد علي باشا للوهابيين: 36

2 – فتح السودان 1820 – 1822م: 41

2 – 1 أسباب فتح السودان: 41

2-3 مقدار نجاح الحملة: 44

3 – حرب اليونان 1821 – 1828م: 45

3-1 الثورة اليونانية: 45

3-2- أسباب قيام الثورة اليونانية: 46

3- 3- نشوب الحرب اليونانية: 46

خلاصة (استنتاج): 54

الفصل الرابع: العلاقة العثمانية المصرية في حالة الصدام

1 – حرب الشام الأولى 1831 – 1833م: 56
1-1 أسباب الحملة على بلاد الشام: 56
1-2 النزاع مع الباب العالي: 57
1-3 صراع محمد علي من أجل سوريا وفلسطين: 58
1-4 صلح معاهدة كوتاهية (اتفاقية كوتاهية 1833م): 61
2-حرب الشام الثانية 1834 _1839م: 63
2-1 أسباب تجدد الصراع العثماني المصري على الشام: 63
2-2 إشعال الثورة في الشام: 65
1- الثورة في فلسطين: 65
2- ثورة النصيرية 1834: 66
3- ثورة الحوران 1837: 67
4- معركة نصيبين1839 م: 68
3- انجلترا والحل الدولي – معاهدة لندن 1840: 69
خلاصة (حوصلة): 72
الخاتمة: 74
الملاحق 77
الملاحق 78
الملحق رقم01: المماليك والصفويون والدولة العثمانية. 78
الملحق رقم02: الحملة الفرنسية على مصر وسوريا. 79
الملحق رقم 03: صورة محمد علي باشا. 80
الملحق رقم 04: خريطة الحرب الوهابية. 81
الملحق رقم 05: إبراهيم باشا. 82
الملحق رقم 06: محمد علي وحملاته التوسعية. 83
الملحق رقم 07: خريطة السودان في عهد محمد علي. 84
الملحق رقم 08: خريطة شبه جزيرة البلقان والمورة. 85
الملحق رقم 09: الثورة اليونانية وحملة إبراهيم باشا 86
قائمة المصادر والمراجع 88
فهرس المحتويات 98

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على حقبة مهمة من تاريخ المشرق خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي الحقبة التي تربع فيها محمد علي باشا على عرش مصر وما ترتب على ذلك من علاقات متباينة بينه وبين الدولة العثمانية هذا ما فتح الطريق أمام الدول الأوربية للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الأخيرة وعلاقاتها بولاتها وذلك للحفاظ على مصالحها وتنفيذ أطماعها التوسعية في أراضي الدولة العثمانية.
الكلمات المفتاحية: محمد علي باشا، الدولة العثمانية، مصر، الدول الأوربية، النصف الأول من القرن التاسع عشر.

Résumé:

Cette étude vise à faire la lumière sur une époque importante de l'histoire du Levant au cours de la première moitié du XIXe siècle, l'époque où Muhammad Ali Pacha monta sur le trône d'Égypte et les relations divergentes qui en résultèrent entre lui et l'Empire ottoman, qui a ouvert la voie aux pays européens pour intervenir dans les affaires intérieures de ce dernier et ses relations avec ses alliés, afin de préserver ses intérêts et mettre en œuvre ses ambitions expansionnistes dans les terres de l'Empire ottoman.

Mots-clés : Muhammad Ali Pacha, Empire ottoman, Égypte, pays européens, première moitié du XIXe siècle.

الحمد لله